ألف ليلة وليلة الهندية

أساطير قديمة

تقديم ومراجعة

د. أحمد جلال الدين

الكتاب: ألف ليلة وليلة الهندية

تقديم ومراجعة : د. أحمد جلال الدين

الطبعة: ٢٠١٨

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر

جلال الدين ، د. أحمد
ألف ليلة وليلة الهندية / تقديم ومراجعة: د. أحمد جلال الدين
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٧٧ ص، ١٨ سم.
الترقيم الدولى: ٣ – ٧٨٥ – ٤٤٦ –٩٧٧ –٩٧٨
أ – العنوان   رقم الإيداع : ١٠٧٠٣ / ٢٠١٨

ألف ليلة وليلة الهندية

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقدمة

"بلغني أيها الملك السعيد، ذو الرأي الرشيد ..." كلمات حفظتها الذاكرة العربية وتواترتها ألسن القراء والمتخصصين على مدار قرون، استهلت بها "شهرزاد" حكاياتها وأساطيرها على مسامع الملك "شهريار" في سرد حكايات جمعها كتاب أسطوري أسهم في تشكيل الفكر العربي والغربي ونشأة دراسة الاستشراف .

يُعد كتاب "ألف ليلة وليلة" من أهم الكتب التراثية التي مثلت جزءاً من الموروث الثقافي والشعبي العربي، من خلال ما يضمه بين دفتيه من حكايات وصل عددها إلى نحو ٢٠٠ حكاية تخللتها أشعار امتزج فيها الواقع بالأسطورة ليحكي قصصاً من التاريخ والعادات وأخبار الملوك وعامة الناس، واللصوص والجن ... هذا فضلاً عن قصص جاءت على ألسنة الحيوانات والطير ... ولا يُعرف حتى الآن مؤلف للكتاب، ويقول النقاد إن أسلوب السرد المُتبع في تأليفه يُشير إلى أن واضعه ليس شخصاً واحداً بل أكثر من شخص، في حين أجمع البعض على أن البناء الأساسي للقالب الدرامي لهذه الحكايات يعتمد على ما يُعرف بالألف خرافة الفارسية أو "هزارأفسان"، ويميل البعض إلى الجزم بأن أصل الكتاب هندي مع إقرار بعض الفضل للفرس والعرب في كتابته ... ويحتل كتاب ألف ليلة وليلة مكانة بارزة في الأدب الشعبي العربي

والغربي، وداعبت حكاياته عقول أجيال قروناً طوالاً، كما ورد ذكر بعض الليالي في بعض المصادر العربية القديمة

ألف ليلة وليلة هو كتاب يتضمّن مجموعة من القصص التي وردت في غرب وجنوب آسيا بالإضافة إلى الحكايات الشعبية التي جُمِعت وتُرجمت إلى العربية خلال العصر الذهبي للإسلام. ويُعرف هذا الكتاب أيضاً باسم الليالي العربية في اللغة الإنجليزية، وذلك مُنذ أن صدرت النسخة الإنجليزية الأولى منه سنة ١٧٠٦ م.

جُمع العمل على مدى قرون، من قِبل مؤلفين ومترجمين وباحثين من غرب ووسط وجنوب آسيا وشمال أفريقيا. وتعود الحكايات إلى القرون القديمة والوسطي لكل من الحضارات العربية والفارسية والهندية والمصرية وبلاد الرافدين. ومُعظم الحكايات كانت في الأساس قصصاً شعبية وتم تحريفها ... والمعروف والشائع في جميع النُّسخ الخاصة بألف ليلة وليلة هو البداية ... وهي قصة الحاكم شهريار وزوجته شهرزاد، التي أدرجت في جميع الحكايات. حيث أن القصص تنطلق أساساً من هذه القصة، وبعض النُّسخ المطبوعة لا تحتوي سوى على بضع مئات من الليالي، والبعض الآخر يتضمن ألف ليلة وليلة أو أكثر. والجزء الأكبر من النص هو بأسلوب النثر، على الرغم من استخدام أسلوب الشعر أحياناً للتعبير عن العاطفة المتزايدة، وأحياناً أخري تُستخدم الأغاني والألغاز. ومعظم القصائد هي مقاطع مفردة أو رباعيّة، كما أن بعضها يكون أطول من ذلك ... وهناك بعض القصص المشهورة

التي تحتويها ألف ليلة وليلة، مثل "علاء الدين والمصباح السحري"، و"علي بابا والأربعون لصاً"، و"رحلات السندباد البحري السبع"، كما أن هناك بعض الحكايات الشعبية في منطقة الشرق الأوسط التي تُعتبر شبه مؤكدة تقريباً، وليست جزءاً من ألف ليلة وليلة الموجودة في الإصدارات العربية، ولكنها أضيفت من قبل المستشرق الفرنسي أنطوان جالان ومترجمين أوروبيين آخرين، وكان أنطوان جالان قد عمل على ترجمة الكتاب إلى الفرنسية سنة ١٧٠٤ م ... كما تُرجِم كتاب ألف ليلة وليلة إلى عدّة لغات، وقد طُبع بالعربية لأول مرة في ألمانيا سنة ١٨٢٥م بإشراف «المستشرق هايخت» فأنجز منه ثمانية أجزاء، مع ترجمته إلى الألمانية، وتوفي قبل إتمام الكتاب، فأنجز الباقي تلميذه هاينريخ فلايشر المتوفي سنة ١٨٨٨م ثم طُبع مرات عدّة، أهمها طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٦٠م. وقد عمِل محسن مهدي على توثيق النسخ العربية في عمل صدر له في ليدن سنة ١٩٨٤ م. وهناك مجموعة من الرسومات صاحبت الترجمات الغربية لألف ليلة وليلة في كتاب (ألف ليلة وليلة: مقالات نقدية وببلوغرافية) الصادر باللغة الإنجليزية، و(ديوان ألف ليلة وليلة) تحقيق عبد الصاحب العقابي: كتاب التراث الشعبي، ويقع الكتاب في ٥٧٧ صفحة مزودة بلوحات فنية. أما مؤلف الكتاب فلا يعرف حتى الآن من هو واضع كتاب "ألف ليلة وليلة"، وقد ذهب «الشرواني» في مقدمة الطبعة الإيرانية إلى أن واضع الكتاب شامي الأصل، جعله في لغة مبسطة مُتوخياً تعليم اللغة العربية إلى الراغبين فيها أكثر ما توخى الاقتراب من إفهام الناس. وقد لحقه الرأي دي ساسي

الذي لا يستبعد أن يكون قد زاد على الأصل السوري النقلة والحكاؤون، وفي كل زمان ومكان أخباراً وحكايات من عندهم ... وليس هدفنا الوحيد من ترجمة هذه المجموعة من الأساطير هو تعريفك بالمصدر الذي استمدت منه معظم الأعمال الأدبية المعروفة، بل أن ثمة هدفاً أجل وأسمى ألا وهو أن هذه الأساطير تثبت أثباتاً قاطعاً أن البشر جميعاً سواسية، مهما اختلفت جنسياتهم، ومهما فصل بينهم من أجيال وقرون. فهم بغض النظر عن الدولة التي يستوطنون فيها أو طبقة المجتمع الذي ينتسبون إليه تتنازعهم ذات الأحاسيس والمشاعر: فهم جميعاً يُحبون ويبغضون، ويرحمون وتتحجر قلوبهم. ومنهم الفاضل والشرير والكريم والبخيل ... إلخ ... وولما كان من أسمى الخدمات التي تقوم بها الأدب المساهمة في خدمة الإنسانية جمعاء، بالتقريب بين شتى شعوب العالم وبين طبقات المجتمعات المختلفة ... وستجد أنه في منتصف القرن العشرين وجدت الباحثة «نابية أبوط» وثيقة تحتوي على بضعة أسطر من عمل عربي يحمل عنوان «كتاب حكاية الألف ليلة» يعود تاريخها إلى القرن التاسع، والتي تُعتبر أقدم جزء مُتبقي لنسخة عربية موجودة من الكتاب حتى الآن. وأول إشارة إلى النسخة العربية والتي تحمل العنوان الكامل «ألف ليلة وليلة» ظهرت في القاهرة في القرن الثاني عشر؛ وهناك عدد من الحكايات العربية المُختلفة التي امتدّت ما بين القرنين الرابع والعاشر الهجريين، وفي هذه الحكايات أقسام واضحة تؤلف المجموعتين البغدادية والمصرية ... وهناك مجموعة من القصص قد أضيفت كاملة إلى كتاب ألف ليلة وليلة، وهي ترد في نسخ دون الأخرى،

وكان السبب في إضافتها ليبلغ عدد الليالي الألف، كما يدلّ على ذلك عنوان الكتاب، وأشهر هذه القصص قصة "السندباد". بالإضافة إلى مجموعة الأخبار، وهي الأخبار المُنتزعة من التاريخ الماضي والتاريخ المعاصر لتلك القصص عن عجائب البلاد والخلق وأخبار الملوك وآدابهم.

وما بين يديك هو كتاب يزخر بالقصص الخيالية والمشوقة والتي تجعلك لا تتركه من بين يديك أبداً بسبب طرافته وغموض قصصه ووصولها لحد اللا معقول ... كما يصل بالعقل البشري إلي أعلي مراحله ... لذا استمتع بالكتاب وادخل إلي عالمه الغامض والمشوق الذي سيجعل منك سعيداً وتتمني أن تقوم بتلك المغامرات الرائعة التي لا مثيل لها .

د. أحمد جلال الدين

الملك والشيطان

* على ضفة نهر «جودافاري» تقع مملكة «براتيشتانا». وكان يجلس على عرشها الملك «تريفيكراماسينا»، الذائع الصيت، الذي كان نفوذه يضارع نفوذ الإله «أندرا»[1].. وقد اعتاد ذلك الملك أن يعقد ندوات أسبوعية، في قاعة الاجتماعات الشعبية، يؤمها أفراد الشعب، ويتقدمون إليه فيها بمطالبهم ومظلماتهم. وهداياهم. وقد لاحظ الملك أن أحد المتسولين يداوم على حضور هذه الندوات، ويقدم إليه –في كل مرة –هدية من الفاكهة. فكان يقبل الهدية شاكراً، ثم يسلمها إلى أمين الخزانة الواقف ضمن بطانته.

وذات مرة، جاء المتسول بهديته من الفاكهة ثم انصرف وعندئذ لمح الملك قرداً قد تحرر من وثاقه وتسلل مبتعداً عن صاحبه، فألقى إليه الملك بثمرة من ثمار الفاكهة فما أن قضمها القرد حتى سقطت منها جوهرة ثمينة. فألتفت الملك إلى أمين خزانته قائلاً: «إن هذا المتسول يقدم هذه الفاكهة منذ عشر سنوات، فماذا فعلت بها؟»، فأجابه أمين

---

(1) «أندرا» كبير الألهة عند الهندوكيين.

الخزانة: «لقد كنت ألقيها في المخزن من النافذة دون أن أفتح الباب. فإذا شئت بحثت لك عنها! »

وأومأ الملك برأسه موافقاً. ومن ثم غادر أمين الخزانة القاعة، ولم يلبث أن عاد بعد هنيهة متهلل الأسارير، وقال للملك: «إنني لم أجد بالمخزن شيئاً من الفاكهة ولكنني وجدت بدلاً منها كومة من الأحجار النفيسة. فسر الملك بأمانة الرجل، وأهداه المجوهرات مكافأة له.

حتى إذا عاد المتسول في اليوم التالي كعادته سأله الملك قائلاً: «لماذا تأتي كل يوم –يا سيدي –لتقدم فروض ولائك على هذا النحو الذي يكلفك غاليًا. سأرفض هداياك منذ الآن ما لم تفسر لي الأمر». وقد تردد المتسول –في البداية – لكنه لم يلبث أن انتحى بالملك جانباً وقال له:

إنني أرغب في عمل تعويذة سحرية. وتلزمني لذلك معونة رجل يتصف بالشجاعة ولذلك أناشدك –يا أشجع الشجعان –أن تمد لي يد العون!». فأبدى الملك استعداده للقيام بكل ما يطلبه منه، مما أدخل السرور في قلب المتسول فاستطرد: «إذن، تعال إلى أرض المحرقة المتسعة الرقعة، في اليوم الرابع عشر من محاق القمر، عند منتصف الليل، وستجدني هنالك في انتظارك تحت شجرة «ألفاتا»، فأجابه الملك قائلاً: «سأجييء بالتأكيد».

وما أن حل اليوم الرابع عشر من محاق القمر، حتى تذكر الملك الأمين الوعد الذي قطعه على نفسه للمتسول. فانتظر حتى غربت الشمس، ثم تسلل خارجاً من القصر الملكي، متدثراً بعباءة زرقاء داكنة قابضاً على سيفه بيمينه استعداداً للطوارىء. حتى إذا بلغ المكان المحدد للقاء، كان الظلام قد خيم على أرض المحرقة، وغدا الجو مقبضاً كئيباً، تفوح منه رائحة الدخان ممتزجة برائحة الجثث المحترقة وبدت له جمرات النار المتخلفة عن الحطب المحترق» وكأنها عيون شياطين تنظر إليه شذراً وتحيط به من كل جانب، كلما خطا خطوة فوق أكوام الجماجم والهياكل العظمية المخالفة من عدد لا حصر له من أأوتي! وتعالت في أذنيه الصيحات المفزعة التي كانت تتردد في أرض المحرقة، ملؤها الحقد والفزع الدفين، تلك الصيحات التي لا يمكن أن تصدر إلا من إله الخوف!

بيد أن ذلك كله لم يستطيع أن يثنيه عن عزمه، بل أنه على العكس حث الخطى متقدماً إلى الأمام، وهو يتلفت حوله. وأخيراً لمح المتسول جالساً تحت شجرة «ألفاتا»، وقد انهمك في رسم دائرة سخرية! فبادره قائلاً: «ها أنذا قد حضرت يا سيدي المبجل. فماذا تريد مني؟»، وعندئذ رمقه المتسول بنظرة تفيض امتناناً وعرفاناً بالجميل، ثم أجابه: «لقد غمرتني بفضلك يا صاحب الجلالة إذ أنجزت وعدك وما دمت قد طوقتني بهذا الجميل، أرجو منك أن تتم صنيعك معي فتتجه نحو الجنوب، حتى تصادفك شجرة «سيستو» قائمة هناك في عزلة عن غيرها

من الأشجار، وعلى هذه الشجرة ستجد جثة مدلاة، فتكرم – يا مولاي الشجاع وائتني بهذه الجثة!»

وكان الملك من الذين يوفون بالوعد، فسرعان ما اتجه نحو الجنوب، ومضي في طريقه لا يلوي على شيء، على ضوء الجمرات التي كانت ترسل بصيصاً يهديه السبيل. وأخيراً وصل إلى شجرة السيستو، وهناك رأي جثة رجل مدلاة تتأرجح في الهواء. فتسلق الملك الشجرة، وقطع الحبل الذي يربط الجثة بها فوقعت الجثة وارتطمت بالأرض، وإذ ذاك ندت عنها صرخة حادة، وكأنها أحست ألمًا فظيعاً! فنزل الملك وأمسك بالجثة في رفق، خوفاً من أن يكون صاحبها لا يزال حياً. بيد أنه بوغت إذ سمع رنين ضحكات تخرج من فم الجثة، فأيقن أن شيطاناً قد سكنها. إلا أن ذلك لم يروعه وإنما واجه الشيطان بشجاعة قائلاً: «لماذا تضحك؟ هيا قم، ولنذهب في طريقنا!»

لكنه لم يكد تفوه بتلك الكلمات حتى اختفت الجثة عن ناظريه، وما أن راح يتلفت حواليه، حتى رآها مدلاة –مرة أخرى – من الشجرة. وكان الملك الشجاع يملك قلبًا صلبًا لا يتزعزع، ولا تفيه حقه أثمن اللآلئ وأنفس الجواهر! ومن ثم عاد فتسلق الشجرة وقطع الحبل. ثم رفع الجثة فوق كتفيه، ومضى في طريقه. وفيما هو يسير تحدث إليه الشيطان من فوق كتفه قائلاً: «سأحكي لك قصة طريفة تخفف عنك عناء الطريق. أنصت:

الرجل الذي تحول إلى امرأة!

«تقع مدينة «سيفابورا» في أرض نيبال. وفي عصر من العصور الغابرة، كان يتولى الحكم فيها ملك اسمه «باساهكيتو»، ومعناه بيرق الشرف. وكان لذلك الملك وزير يدعى «براجنا ساجارا» –أي محيط الحكمة –خبر فيه الحنكة والحصانة في إدارة شئون الدولة، ومن ثم ألقى عليه أعباء الحكم –بدلاً منه –لينغمس هو في اغتراف ملذات الهوى مع زوجته الفاتنة الملكة «كاندرابرابها». وما لبثت الملكة أن أنجبت له ابنة أطلقا عليها اسم «ساسيبوابها» أي «بهاء القمر». وإن كان ثمة اسم يناسبها فقد كان ذلك الاسم، إذ كانت تحاكي القمر بهاءً ودواءً. وكان مرور السنين لا يزيدها إلا جمالاً وسحراً، حتى أصبحت امرأة ناضجة، بالغة الفتنة والإغراء!

وذات يوم، خرجت الأميرة –مع صويحباتها –إلى حدائق القصر، يستمتعن بمشاهدة المهرجانات التي أقيمت احتفالاً بعيد الربيع. وفيما كانت منحنية تقطف باقة من الأزهار، وقع عليها بصر شاب، هو ابن أحد أثرياء البرهميين، وكانت إحدى يديها ممتلئة بالورد الذي قطفته لتوها، فلما مدت يدها الأخرى لتقطف مزيداً من الورد انثني رداؤها قليلاً ليكشف عن ثدي ممتلئ، رخص، أبيض كالبلور. وكان هذا الشاب – ويدعى «ماناهسفامين» –قد خرج بدوره ليشاهد احتفالات عيد الربيع. فما وقع بصره على مفاتن هذه الحسناء حتى تسمر في مكانه، وقد

أحس بأنها سلبته لبه. ورغم أن اسمه معناه «مالك عقله»، إلا أن الفتى، الذي صرعه إله الحب بسهامه الطائشة، غدا شارد الذهن، لا يملك عقلاً على الإطلاق!

ووقف يسائل نفسه: «من عساها تكون؟ أتراها ربة اللذات خرجت من خدرها لتجمع الزهور التي نشرها الربيع تحت قدميها –لتزين بها سهام حبيبها إله الحب؟ أم لعلها حورية من الحوريات، خرجت من الغابة لتقدم فروض الطاعة والولاء للإله كريشنا؟». وفيما هو واقف هكذا، وقد تسمر في مكانه، لا يحير حراكاً، لمحته الأميرة. فما أن وقع بصرها عليه حتى حسبته إله الحب مجسداً! وعلى الفور استولى عليها حنين طاغ إليه ورغبة عارمة فيه، حتى لقد نسيت تمامًا كل شيء عن أزهارها، وجسدها، وروحها!

ووقف العاشقان يختلس كل منهما النظر إلى الآخر في صمت وخجل فطري، أضفى عليهما مظهراً خلاباً!

***

وفجأة انبعثت حولهما صرخات تنم عن الفزع، فلما رفعا رأسيهما ليتبينا جلية الأمر، وقع بصرهما على فيل ضخم، رهيب المنظر، يندفع نحوهما في سرعة جنونية، مكتسحاً الأشجار الضخمة التي تعترض طريقه! وكانت حرارة الجو قد أهاجته وأثارت ثائرته، فحطم السلاسل التي كان مقيداً إليها، ثم انطلق هاربًا ورنين السلاسل يصلصل خلفه.

فأستولى الرعب على رفيقات الأميرة وولين الأدبار هاربات، تاركات إياها لمصيرها!

ولكن «ماناهسفامين» ما كاد يلمح الخطر الذي يهدد حياة محبوبته، حتى اندفع نحوها ورفعها بين ذراعيه القويتين، المفتولتي العضلات، مبتعداً بها عن طريق الفيل الهائج. وعندما أنزلها إلى الأرض كان قلبها يخفق في قوة وعنف، وقد تضاربت عواطفها بين الخوف وذلك الإحساس الجديد الذي خدر أعصابها، والذي لم تخبره من قبل! فلما زال الخطر، عادت رفيقاتها إليها ينتابهن إحساس بالخجل لهربهن -وأحطن بها، ثم رحن يثنين على شجاعة البرهمي الشاب!

وفيما كن يقدن الأميرة إلى القصر، التفتت خلفها، ووقفت لحظة ترمق محبوبها البطل بنظرات تنم عن العشق والهيام. حتى إذا بلغت القصر لم تستطع أن تبعد طيفه عن ذاكرتها، بالليل أو بالنهار، وأحست بوخزات الهوى الجامح تقض مضجعها، وقد باتت تحترق بنار الحب الملتهبة!

اما «ماناهسفامين» فقد وقف يتابعها بنظراته الملتاثة، حتى اختفت عن انظاره داخل القصر. وعندئذ راح يناجي نفسه قائلا: أواه ... لم تعد الحياة تطيب بدونها! فلا ملجأ في سوى معلمي «مولاديفا»: الساحر الأريب!»

***

وانتظر «ماناهسفامين» الصباح بفارغ الصبر، وقد بات ليلته يتقلب على الجمر، فما كادت الشمس ترسل أشعتها الذهبية على الكون، حتى كان البرهمي الشاب واقفاً يطرق باب دار معلمه الساحر، زعيم اللصوص. وحين فتح له الباب وجده جالساً مع تلميذه «قمر» –الذي لم يكن يفارقه أبداً –يمارسان طقوس السحر العجيبة، التي كانت تصارع في غرابتها غموض قبة السماء! وخر الشاب راكعاً أمام الساحر، وألقى بين يديه بالمشكلة التي تنغص عليه حياته، والأمنية التي يتعذر عليه تحقيقها دون عونه. فابتسم «مولاديفا» له، وأعدا إياه خيراً!

وأخرج زعيم اللصوص من جرابه قرصاً سحرياً، ما إن وضعه في فمه حتى تحول إلى برهمي عجوز، ثم أعطي الشاب قرصاً آخر، فأنقلب –على الفور –إلى فتاة صاعقة الجمال. واصطحبه الساحر العاشق المدنف –بعد أن تحول إلى فتاة فاتنة –إلى الملك، والد الفتاة. وهنالك في قاعة الاستقبالات الملكية جثا أمام الملك، ثم قال: «لقد رزقتني السماء بولد واحد ليس لي في الدنيا سواه. ولما بلغ طور الشباب طلب مني أن أبحث له عن زوجة تؤنس وحدته. فأخذت أتنقل هائاً من بلد إلى آخر، حتى عثرت له –آخر الأمر –على فتاة تصلح له. فاستأذنت والديها في اصطحابها معي. لكنني عندما عدت إلى هنا وجدت ابني قد فاض به القلق ونفاد الصبر، فخرج يبحث عني. وها أنذا الآن –يتعين على أن أبحث عنه بدوري. بيد أنني لا أعرف أحداً أستطيع أن أأتمنه على الفتاة. ومن ثم أحضرتها إليك – يا مولاي –لتعيش وديعة في كنفك إلى أن أعود. فأنت حامي حمى الشعب، وملجأه عند الحاجة!»

وخشي الملك أن تحل به لعنة البرهمي العجوز، إذا رفض أن يلبي طلبه، فنادى ابنته وقال لها: «احتفظي بهذه الفتاة – يا ابنتي –معك وأكرمي وفادتها. ولتعش وتأكل في غرفتك وتنام في سريرك! وما أن اطمأن الساحر إلى أن «ماناهسفامين» قد أصبح قريبًا من معشوقته، مخفيًا في هيئة فتاة، حتى غادر القصر!

وبعد أيام قليلة، أصبحت الأميرة تثق بالفتاة ثقة عمياء فجعلتها موضع سرها ونجواها. وما لبثت هذه الفتاة المزيفة أن اكتشفت أن الأميرة تخفي –تحت ستار المرح واللهو –حزنًا وقلًقا دفينين، وأنها تعاني الأرق فتقضي الليل تتقلب في فراشها لا يغمض لها جفن. فجف عودها وشحب وجهها. وذات ليلة همس لها «ماناهسفامين» في أذنها، وهو ينام إلى جوارها قائلًا: لماذا أراك تعيسة هكذا يا حبيبتي؟ إن كل يوم يمر يزيد من شحوب لونك، ويخمد الحياة في جسدك الذي بات نحيًلا كالعود الجاف، وكأنك تقاسين لوعة الفراق من حبيب لك. فأخبرني ماذا دهاك. أتراك لا تثقين بي؟ هل بدر مني ما يدعوك إلى إساءة الظن بصديقتك التي تحبك ولا ترجو لك سوى الخير. أقسم أن لا أصيب طعامًا، إلا إذا بحت لي بما يشغل بالك! »

فتنهدت الأميرة وقالت هامسة: «إنك تعلمين أن الأمر ليس كذلك، فإني أوليك ثقة لا مزيد عليها، بيد أنني لا أريد أن أشغل بالك بمشكلة لا أجد لها حلاً. ومع ذلك فها أنذا أدلي إليك بالقصة بحذافيرها. فإنصتي:

«خرجت ذات يوم لأشاهد مهرجان عيد الربيع، وإذا بي ألمح برهمياً شاباً يتمتع بقوة كالفولاذ، ورباطة جأش لا أجد من الكلمات ما يكفي لوصفها. وكان لا يفتأ يرمقني بنظرات خجلة، فخلته الربيع وقد بعث –بنظرة من عينيه –صديقة الحب إلى الحياة! كان بجماله الخلاب يزيد من روعة الطبيعة وجمال الكون. ولكنني، وا أسفاه، بينما كنت أتطلع إليه وعيناي تلتهمان أكسير الجمال الذي لاح في وجهه المتلألأ كطلعة القمر وقت اكتماله، وقد تولتني رغبة جامحة في أن أنطلق وأرتمي بين ذراعيه، في سرعة طيور الجنة. إذا بي أسمع زمجرة رعد عاصف، وكأن يوم الحشر أقبل قبل أوانه، وما لبثت أن شاهدت فيلاً ضخماً، أصابه الجنون، فحطم قيوده، وهجم علينا في سرعة رهيبة، والعرق يتقصد من جسده بغزارة. وقد فزعت رفيقاتي فولين الأدبار، ووقفت في مكاني كأني تسمرت في الأرض، من فرط الفزع والرعب. لكن البرهمي لم يبال بالخطر، واندفع نحوي بشجاعة الأسد ورفعني بين ذراعيه، وركض بي بعيداً عن طريق الفيل. وكان لاحتكاك جسده بجسدي وقعاً غريبًا، فسرت الرعدة فيه، وأحسست به وكأني قد فرغت لتوي من تدليكه بالمسك، أو كأنني قد أفرطت في احتساء خمر الألهة. وعندما عادت بي رفيقاتي إلى القصر، انتابني إحساس من ألقي به من السماء إلى الأرض!

ومنذ ذلك اليوم، صرت حتى حين أكون مستيقظة أرى سيد حياتي بجانبي، وقد شق طريقه إلي، مستعيناً بشتى الحيل الماكرة. أما في الليل،

فيتراءى لي في المنام، وهو يعتصر جسدي بذراعيه المفتولتين، ثم يشبعني - رغماً عني –عناقاً وقبلات، لا تلبث أن تبدد حيائي وخجلي!

«وها أنذا بعيدة عن متناول يده، لا أعرف عنه شيئاً. لا أعرف حتى اسمه ولا أسرته. ولا أي شيء على الإطلاق. كما أنني لا أعرف طريقة تجمع شملنا. وهكذا بت أصطلي بنار البعد عن سيد روحي، مما يكاد يدفعني إلى الجنون !! »

***

وكان لكلمات الأميرة في سمع العاشق المدنف، نشوة ألذ من النشوة التي لخمر الألهة، فراح قلبه يرقص بين جنبيه، وقد أدرك أنه آن له أن يميط لها اللثام عن حقيقته فأخرج القرص من فمه. وعندئذ رأت أمام شابًا، وسيمًا، قويًا، يفيض رجولة وفحولة. ما لبث أن قال لها: «حبيبتي ذات العينين الفاتنتين اللتين تشبهان زهرة النرجس، إنه أنا ذلك البرهمي الذي فتنته نظراتك في الحديقة، وسلبه هواك رشده. لقد انتابني حزن فظيع، إذ انتهى لقاؤنا على هذا النحو المفاجئ، وكان من نتيجة أساي وحزني أن تحولت إلى فتاة، كما كنت ترينني منذ لحظة. وقد آن لنا الآن أن نتخلص من تلك الآلام التي احتملناها طويلًا، ولنبدأ حياة سعيدة، يظلها حب خالد لا يموت. فإن صبر عاطفتي قد نفد، ولم أعد أطيق الانتظار!

فما رأت الأميرة فاتنها يبعث هكذا أمام ناظريها، على حين غرة، حتى فاضت روحها عشقًا وصبابة، ولم تلبث أن ارتمت على صدره، وقد استسلم كلاهما للشوق واللهفة اللتين أعتملتا طويلًا في صدريهما، ووهب كل منهما نفسه للآخر على شريعة «جاندرهافاس» [٢]، وقضيا ليلتهما يحتفلان بغرامهما المتوقد، ويجرعان كؤوس الهوى مترعة، حتى الصباح!

ومنذ تلك الليلة، عاش «ماناهسفامين» في قصر الملك بهيئتين مختلفتين. فكان في النهار يضع القرص في فمه فيبدو فتاة، وفي الليل يخرج القرص من فمه فيعود رجلاً!

***

وكان للملكة «كاندرابرابها» –زوجة الملك «ياساهكيتو» –أخ يدعى «مرنجانكاداتا». وقد أقام ذات يوم حفلة، دعا إليها الملك وأسرته وحاشيته بمناسبة زواج ابنته «مرنجانكافاتي» من الفتى البرهمي «برجنا ساجارا» ابن مستشار الملك وصفيه الأمين. فذهبت إلى هناك الأميرة «بهاء القمر»، واصطحبت معها البرهمي الشاب «ماناهسفامين» الذي كان يبدو في هيئة عذراء جميلة –كوصيفة من وصفات الشرف!

---

(٢) شريعة « جاندهارفاس » هي الشريعة التي كان يدين بها موسيقيو الألهة في زواجهم. وكان الزواج في عرفهم لا
يتطلب سوى موافقة الزوجين دون التقيد بأية مراسيم أو إجراءات أخرى!

وبدا «ماناهسفامين» بين باقي الوصيفات، كالقمر تحيط به النجوم، فما أن وقع بصر العريس –ابن المستشار –على العذراء المزعومة، حتى أصابت سهام الحب قلبه، وأفقدته الفتنة رشده!. وفي تلك الليلة، صحبه عروسه إلى مخدعه، إلا أن الغرفة المؤنثة أفخم تأثيث، والمزينة بفاخر الرياش، بدت له خاوية على عروشها، لا روح فيها.

حتى إذا رفع النقاب عن وجه عروسه، غامت عيناه، واختفى عن ناظريه وجهها، ليبدو بدلاً منه وجه الغادة الفاتنة التي لم يقع نظره على أبهى منها طلعة، ولا أرشق قواماً! فأحس في هذه اللحظة كأن ثعبان الهوى الجامح قد عض قلبه، بأنيابه التي تقطر السم الزعاف، ولم يلبث أن سقط على الأرض فاقد الوعي!

***

وهرع المدعوون –وعلى رأسهم أبو العريس –على صوت ولولة العروس الملتاعة. وتمكنوا –بعد جهد –من إعادته إلى وعيه. إلا أنه كان قد باح خلال هذيانه بسر وجيعته! فاضطرب الأب اضطراباً شديداً، إذ حسب أن ابنه قد فقد عقله، وسرعان ما بلغ الأمر مسامع الملك، فبادر بزيارة الشاب الذي أضناه الحب، وبلغ به المرحلة السابعة من مراحل المرض، فدعا مجلس الوزراء على الفور إلى اجتماع عاجل، لمناقشة المشكلة، علهم يصلون إلى حل بشأنها!

وعرض الملك الأمر على المجلس قائلاً: «إن تلك الفتاة التي فتنت ابن المستشار، هي ابنة رجل برهمي، أودعها عندي لتكون في رعايتي، ومن ثم فلست في حل من تزويجها لمن أشاء. وفي ذات الوقت، أجدني مضطراً إلى تزويجها لهذا الشاب، وإلا فإنه سيصل –لا محالة –إلى آخر مراحل المرض: المرحلة القاضية! وإذا حدث ذلك، فإن أباه لن يلبث أن يلحق به. وبموت المستشار ستتقوض دعائم المملكة، فأخبروني، ماذا عساي أصنع؟». فأجابه الوزراء: «منذ قديم الأزل، كانت أولى واجبات الملك هي المحافظة على ما يتمتع به رعاياه من فضائل. ولما كان المستشارون يمثلون الهيئة التنفيذية في الدولة، وهم الذين يقع على عاتقهم القيام بهذا الواجب، فإن موت أحدهم لم ينجم عنه –بلا جدال –انهيار الفضيلة! ومن ثم، ينبغي أن تتدبر الأمر، وأن توفي المشكلة حقها من البحث، مما سيؤدي بك حتماً إلى تغليب مصلحة الدولة العليا على مراعاة أصول اللياقة والواجب، فإن الخطر الذي يهدد الفضيلة هو خطر جدي، لا يمكن تجاهله. لذلك ننصحك بأن تزف الفتاة –ابنة البرهمي الذي تركها في رعايتك –إلى ابن المستشار. ولا شك أنك بذلك ستخون أصول الثقة والرعاية، بيد أن هذا أمر بوسعك أن تعالجه في الوقت المناسب!»

ومن ثم لم يجد الملك مندوحة من الاستسلام للأمر الواقع فوعد المستشار بتحقيق رغبة ابنه، وحدد له موعداً لإتمام مراسم الزفاف. ووصل أمر هذا الاتفاق إلى مسامع «ماناهسفامين»، فطلب مقابلة الملك في جلسة خاصة قال له فيها: «يا صاحب الجلالة. إنك تعد

العدة لتزويجي من أحد رجال حاشيتك، بينما جاء بي أبي إلى هنا لأتزوج من رجل آخر. فإن كنت مصراً على ارتكاب هذا الذنب العظيم، فهذا شأنك، وعليك وحدك تقع تبعة الأثم الذي سنقترفه. بيد أنني سأمتثل كل ما تأمر به، ولكنني اشترط لذلك شرطاً واحدًا: وهو أن لا يضاجعني زوجي قبل أن يحج إلى الأماكن المقدسة، في رحلة تستغرق ستة شهور. وهذا هو الشرط الذي أصر عليه، وأقسم أنك إذا رفضته، سأعض لساني حتى أموت! »

وقد نقل الملك الشرط الذي اشترطه «ماناهسفامين» لإتمام الزفاف إلى ابن المستشار. فوافق هذا –دون تردد –عليه، وقد بدا له شرطاً هيناً، مقابل الاستحواذ على مالكة فؤاده وسالبة رشده، وبالفعل تمت مراسم الزفاف، وأسكن العريس زوجته الأولى «مريجانكافاتي» وعروسه المزيفة «ماناهسفامين» في حصن منيع، ثم شد رحاله إلى الأماكن المقدسة، تاركاً ذلك الرجل –المتخفي تحت هيئة امرأة –يقاسم زوجته فراشها!

وذات ليلة، بينما كان الخدم مستغرقين في النوم، همست «مريجانكافاتي» في أذن «ماناهسفامين» الراقد في فراشها –قائلة: «أحكي لي يا حبيبتي قصة مسلية، علها تجلب النوم إلى عيني اللتين شكتا من طول السهاد!».

فراح الشاب –المتنكر بشكل امرأة –يقص على أسماعها بصوت حالم وأسلوبه مثير، قصة الملك «ايللا» –ولي عهد مملكة الشمس – الذي ألقت عليه الألهة البيضاء لعنتها فأنقلب –لتوه –إلى امرأة تتمتع بجمال باهر سحر العالم أجمع .. وما حدث عندما تلاقت تلك المرأة مع الملك «بوذا»، فأغرم كل منهما بالآخر، وما لبثا أن تواصلا في ساحة المعبد !.. وكيف أن البطل «بورورأفاس» كان ثمرة هذا الوصال!

واسترسل «ماناهسفامين» في قصته قائلاً «ومن هذا ترين إنه في الإمكان أن ينقلب رجل إلى امرأة أو امرأة إلى رجل –وإن كان هذا لا يحدث سوى مرة واحدة كل عدة أجيال –إما انصياعاً لأمر إلهي، أو بفعل بعض العقاقير السحرية. وفي هذه الحالة، لابد أن يقع ذلك الشخص –الذي يحدث له التغيير –في غرام أول من يلاقيه من الجنس الآخر، وأن يتم بينهما الوصال».

فما سمعت الزوجة الشابة. المضطرمة العواطف –والتي هجرها زوجها في ليلة زفافها –قصة ضرتها التي باتت توليها ثقتها وحتى انطلقت تبوح لها بمكنون فؤادها، قائلة: «لست أعرف ماذا دهاني !.. لقد راح جسدي يرتجف ارتجافاً فظيعاً –كقصبة في مهب الريح –ونبضات قلبي تزداد عنفاً، وأنا أستمع إلى قصتك، فما معنى هذا؟.. أخبريني يا صديقتي!»

– هذه علامات الحب يا عزيزتي. أهي أول مرة ينتابك فيها ذلك الإحساس ؟.. لا أخفي عنك أنني كثيراً ما خبرت هذا الشعور من قبل!

وإذ ذاك همست مريجانكافاتي في أذن رفيقتها بصوت خافت: «يا حبيبتي، أتعلمين أنني بت أحبك أكثر من حياتي؟.. لعله من الأوفق أن لا أطلب منك ما أفكر فيه –فإنه لأمر غير لائق –ولكن، أليس بوسعنا أن ندخل رجلاً إلى غرفتنا؟». فرأى «ماناهسفامين» في عبارتها بشيراً بتحقيق آماله، وكتلميذ نجيب «لمولاديفا» الساحر زعيم اللصوص، بادرها بقوله: «إذا كان هذا غاية مرادك، فإنني سأسر إليك أمراً: لقد منحني الإله «فيشنو» تعويذة سحرية، أستطيع بواسطتها أن أتحول –في الليل –إلى رجل!.. ولما كنت لا أحتمل أن أخيب لك رجاء، فإنني سأستجيب إلى طلبك وأتحول إلى رجل، لأجل خاطرك!»

وأخرج «ماناهسفامين» القرص السحري من فمه، فإذا به يتحول أمامها إلى شاب، مليح الوجه، رشيق القد، يفيض رجولة وفحولة .. وكانت الكلفة قد زالت من بينهما، والعواطف قد اضطرمت في جسديهما، فاحتفلا سوياً بعيد الحب، في حماس يناسب المقام !!

وهكذا انقضت الأيام، والبرهمي الشاب يعاشر زوجة ابن المستشار، متخفياً كامرأة فاتنة في النهار، وكرجل عارم الرغبة في الليل، وما لبث غرامهما أن بلغ أوجه، فما أن حان موعد عودة الزوج المخدوع، حتى كانت الزوجة والعشيق يتسللان من المنزل هاربين!

وفي اليوم التالي، تقمص مولاديفا، أستاذ ماناهسفامين –وكان على علم بمجريات الأمور –هيئة البرهمي العجوز، واصطحب معه تلميذه الآخر «قمر» –وقد أتخذ لنفسه شكل برهمي شاب –وذهب إلى الملك «ياساهكيرو» قائلاً: «ها قد عدت من رحلتي يا صاحب الجلالة. والآن رد لي عروس ابني!».. ولم يجرؤ الملك –في باديء الأمر –على الإفضاء له بأنها قد فرت من منزله، لكنه لم يلبث أن استجمع شتات شجاعته، وأتخذ صوته لهجة التوسل وهو يقول له: «أيها البرهمي. لست أعرف أين ذهبت عروس ابنك. لهذا أناشدك المغفرة. ولكني على استعداد لأن أعوض خسارة ابنك، وذلك بأن أزوجه من ابنتي «العذراء الأميرة «ساسيبرابها! »

واستشاط مولاديفا –زعيم اللصوص –غضباً، وهدد بالويل والثبور وعظائم الأمور، وخاطب الملك بلهجة حادة، خارجاً عن طوره ولكنه لم يلبث –آخر الأمر –أن بدا عليه الهدوء، والامتثال للأمر الواقع. وعلى الفور عقدت مراسم زفاف الأميرة «ساسيبرابها» على تلميذ مولاديفا «قمر»، الذي زعم بأنه كان ابنه! وعاد الساحر مع «قمر» والأميرة العروس «ضياء القمر»، إلى منزل الساحر، حيث وجدا «ماناهسفامين» ينتظر قدومهم. وطالب هذا بأن يتنازل قمر له عن عروسة، على زعم أنه تزوجها –عندما كانت عذراء –بموافقة معلمه مولاديفا. أما قمر فقد رفض التنازل عنها، وأصر على الاحتفاظ بها، وصاح بغريمه قائلًا «بل إنها زوجتي أيها المأفون. وقد عقد أبوها مراسم زواجنا أمام النار

المقدسة». لكن الخلاف استمر بينهما، وكل منهما يأبى الاستماع لمنطق الآخر أو يسلم بوجهة نظره!»

واستطرد الشيطان قائلاً: «والآن أخبرني يا صاحب الجلالة. من من الاثنين كان أحق بالزواج منها؟ تذكر أنك لو فشلت في حل هذا اللغز حلت اللعنة بك!». وكان الملك قد توصل إلى الحل السليم لذلك اللغز الذي ألقاه إليه الشيطان من فوق كتفه، فقال: «أعتقد أن «قمر» كان زوجها الشرعي، فقد وهبها أبوها له، بالطريقة القانونية، علانية أمام الناس. أما «ماناهسفامين» فقد توسل بالغش والخداع للاستحواذ عليها، وكانت علاقتهما تتسم بالسرية، بلا احتفال. وليس ثمة قانون في العالم يجيز للسارق التمتع بالمال المسلوب!»

فما سمع الشيطان إجابة الملك حتى اختفى من فوق كتفيه، وعاد – مرة أخرى – إلى مأواه في شجرة «السيستو»، فتعقبه الملك «تريفيكرأماسينا» ثم قبض عليه وحمله مرة أخرى. ومن فوق كتفي الملك نطق الشيطان قائلاً: «دعني أقص عليك يا صاحب الجلالة قصة أخرى، تنسيك عناء الطريق!

الحساسون الثلاثة

«في مدينة «فريكشاجاتا» -إحدى مدن ولاية أنجاس - كان يعيش رجل برهمي على درجة كبيرة من الثراء.. وكان متديناً، لا يفوته فرض من فروض العبادة المنصوص عليها في الكتب. وقد تزوج بامرأة برهمية من عشيرته، أنجبت له ثلاثة أبناء، أتصفوا بالترفه وشدة الحساسية!

وذات يوم طلب منهم أبوهم أن يحضروا له سلحفاة، ليقدمها للآلهة كقربان وفاء لنذر قديم. وذهب الأخوة الثلاثة إلى شاطيء البحر، ولم يلبثوا أن عثروا على السلحفاة، لكن أحدًا منهم لم يقبل أن يحملها، فقد قال الأخ الأكبر: «ينبغي أن يحمل أحدكما السلحفاة إلى أبي، فإنني لا أستطيع أن ألمس هذه المخلوقة القذرة!»، فأجابه الآخران «ونحن مثلك لا نستطيع أن نلمسها!»، فقال الأخ الأكبر: «ولكن، لابد من أن تحملا السلحفاة إلى أبي، وإلا فسد قربانه وذهبتما بسبب ذلك إلى الجحيم!».

فضحك أخواه وقالا: «ها أنت تلقننا الواجب الذي علينا، ونسيت واجبك أنت. وهو في الحقيقة عين واجبنا!».

– لكنكما تعرفان جيداً الحساسية التي أعانيها بشأن الطعام. فأنا لا أستطيع أن أبتلع لقمة واحدة من طعام تشمئز منه نفسي!

– أما أنا فأعاني حساسية أشد منك، وإن كانت تلك الحساسية تتجه نحو النساء!

– إذن، فليحمل أصغرنا السلحفاة.

لكن هذا تجهم في غضب ثم قال: «يا لكما من غبيين!.. إن حساسيتي بشأن الفراش الذي أرقد عليه أشد من حساسيتكما معا!».

وسرعان ما دب بينهم الشجار، ولم يتمكنوا من الوصول إلى حل يرضيهم، فتركوا السلحفاة في مكانها، ويمموا شطر مدينة «فيتانكابورا» ليحتكموا إلى ملكها «براسيناجيت».. وقد رحب الملك بهم ترحيباً حاراً وأكرم وفادتهم. وبعد أن نالوا قسطاً من الراحة سردوا على الملك قصة الخلاف الذي دب بينهم. فقال الملك: «أمكثوا في قصري فترة من الزمن، ريثما أستطيع اختبار كل منكم على حدة!».

ولما جاء موعد العشاء، أجلس الملك البرهميين الثلاثة في مكان الشرف من المائدة، وأمر بأن يقدم لهم طبق ملكي فاخر يتكون من الأرز وقد أضيفت إليه الروائح الست الشهية المعروفة، فهجم الجميع على الأرز يأكلونه بشهية عارمة، ما عدا البرهمي الذي كانت لديه حساسية نحو الطعام، فقد عاقت نفسه الطبق الشهي، وأمسك أنفه بأصابعه، وقد

بدا على وجهه الاشمئزاز بأجلى معانيه!.. فسأله الملك بلطف ورقة: «لماذا لا تأكل أيها البرهمي؟ ألا يروقك الطعام؟ لقد أمرت خدمي بتقديم أجود صنف منه، كما أنه يعبق برائحة ذكية!». فأجابه الأخير هامساً بصوت مبحوح: «يا صاحب الجلالة، مهما كانت درجة جودة الأرز، ومهما أضيف إليه من روائح شذية، فإنني أشتم خلاله رائحة جثة محترقة، ومن ثم لا أستطيع أن أبتلع حبة منه! ».

فدهش الملك لقول الشاب دهشة بالغة، وأمر بأن يشم جميع الحاضرين الأرز، ففعلوا وأجابوا جميعًا بأنه من صنف ممتاز، وأنه لذيذ المذاق، عذب الرائحة، وليست به أية رائحة كريهة. بيد أن الشاب ظل مع ذلك مصراً على زعمه، ممسكاً بأنفه، رافضاً أن يمس الطعام. ومن ثم لم يجد الملك بداً من إجراء تحقيق في الأمر، وإذا أحد الطهاة يقول إن ذلك الأرز إنما هو من محصول حقل يقع على مقربة من أرض المحرقات، حيث كان القرويون يحرقون جثث موتاهم.

وإذ ذاك سر الملك من الشاب وقال له: «لقد أقمت الدليل على أن حساسيتك بشأن الطعام حقيقية، لا زيف فيها ولا ادعاء. ومن ثم أمرت بأن يقدم إليك صنف آخر!». وما أن فرغ البرهميون الثلاثة من تناول العشاء حتى اتجه كل منهم إلى غرفة نومه.

***

وكان لذلك الملك محظية على درجة كبيرة من الجمال والفتنة، فأمر الملك بتزيينها أكمل زينة، وبتعطيرها بأفخر العطور وأغلاها ثمناً، حتى أصبحت مثالاً حياً لجمال الأنوثة الخلاب. وأرسلها الملك إلى مخدع البرهمي الثاني –الذي تتجه حساسيته نحو النساء –فدخلت مخدعه، يشع من وجهها ضوء كضوء القمر، وبدت كأنها تحمل في يدها مشعل إله الحب، فأضاءت الغرفة بسنائها وبهاء طلعتها .. فما لمحها الشاب عند باب الغرفة حتى أخذ يمني نفسه بليلة هانئة، لم يذق مثلها من قبل. بيد أنها ما اقتربت منه حتى قفز من مكانه –وكأن عقربًا قد لدغته –وهو يسد أنفه بيده، ويئن أنيناً فظيعاً، وقد كاد يغشى عليه. وصاح منادياً الخدم، وإذ أتوا مهرولين، قال لهم: «أبعدوا هذه المرأة عني !.. سأموت لا محالة إذا ظلت بجواري لحظة أخرى. أن رائحة جسدها تشبه رائحة المعيز!».

وذهب أفراد الحاشية بالمحظية البائسة إلى الملك، وأنهوا إليه ما حدث. فاستدعى الملك البرهمي وقال له: «إن هذه المحظية أجمل نساء حريمي وأقربهن إلى قلبي، وقد قبلت أن أتنازل عنها تكريمًا لك، وهي تسير وسط سحابة من أعذب العطور من المسك والكافور. ومع ذلك تزعم أن رائحة جسدها تشبه رائحة المعيز؟!».

ولكن منطق الملك عجز عن إقناع الشاب الذي ظل مصراً على رأيه، ممسكاً بأنفه. وإذ ذاك راودت الشكوك ذهن الملك فاختلى بالمحظية، وراح يتوسل إليها ويحاورها ويداورها كي تكشف له عن

الحقيقة. وأخيراً قالت له إنها عندما كانت طفلة فقدت أمها ولم يكن لديها مرضعة. وكادت تموت من الجوع لولا أن تقدمت إليها إحدى الجارات بلبن المعين فأطعتهما منه. وعندئذ بلغت الدهشة بالملك كل مبلغ، وإعترف بحساسية البرهمي!.

***

ثم أصدر الملك تعليماته لحاشيته بأن يزود البرهمي الثالث–الذي كان يدقق في اختيار فراشه–بسرير وثير نقطه سبع حشايا، كل منها فوق الأخرى .. لكن البرهمي الحساس لم يقف إلا ساعة وبعض ساعة ثم إستيقظ عند منتصف الليل–صارخاً من فرط الألم، وهو يمسك جنبيه بيديه. فلما نضا رجال الحاشية الثياب عنه، شاهدوا شريطاً أحمر اللون، متعرجاً، مطبوعاً بوضوح في لحمه، أشبه بقضيب من الصلب غائر في كتلة من الصلصال!..

فلما ذهبوا إلى الملك وأنهوا إليه الأمر، أصدر أمره بفحص الحشايا فحصا دقيقاً ليتأكدوا من أن شيئاً لم يترك–سهواً–بين ثناياها. فلما نفذوا أمره وجدوا مابين الحشية السفلى والسرير شعرة رأس، لايزيد طولها عن عشر سنتيمترات، فأحضروها للملك ما الذي ما أن رآها و قارن بينها وبين العلامة الفائرة التي وجدت بجسد البرهمي؛ حتى قال لنفسه: «أمن المعقول أن تنفذ شعرة مثل هذه خلال سبع حشايا ثم تطبع هذا الأثر على جسده؟ إنه الأمر محير حقاً!».

وفي الصباح جمع الملك البرهميين الثلاثة كي ينهي إليهم القرار الذي إتخذه في شأنهم: وهو أنهم جميعاً يتمتعون بحساسية لاسبيل إلى إنكارها، ثم أهدي كلامنهم مائة.

ألف قطعة من الذهب مكافأة له على صدقه وأمانته، ولم يلبثوا أن عادوا إلى وطنهم وقد نسوا تماماً موضوع السلحفاة. وبذلك إرتكبوا خطيئة لا تغتفر، إذ تسببوا في إفساد قربان أبيهم!».

وما أن فرغ الشيطان من سرد هذه القصة الرائعة حتى سال الملك قائلاً: والآن يا صاحب الجلالة ، تذكر اللعنة التي صبتها عليك–فهي لاتزال سارية المفعول–وأخبرني من من أولئك الشبان الثلاثة المرفهين الحساسين نحو الطعام والنساء والفراش هو: أشدهم حساسية؟.

فأجاب الملك الحكيم قائلاً: «إنني أعتقد أن البرهمي الأخير– الذي تتجه حساسيته نحو الفراش– هو أكثرهم رقة وحساسية!.. فهو الوحيد بينهم الذي لم يكن بوسعه أن يزيف الأمر أو يختلقه، إذ كانت العلامة الظاهرة على جسده أبلغ دليل على صدقه. أما الآخران فقد كان بوسعهما الحصول على معلوماتهم من و مصادر مختلفة!».

وعلى الفور إختفى الشيطان من فوق كتف الملك، فعاد الملك المثابر أدراجه، مطارداً أباه، ومرة أخرى أنزله عن شجرة «السيستو»، ولم يلبث الشيطان أن قال له: «سأحكي لك الآن–يا مولاي–قصة عجيبة أخرى. فانصت إليها:

العشاق الثلاثة

يحكى أن رجلاً برهمياً حكيما كان يعيش–في سالف العصر والأوان–في ولاية «براهماستالا»التي تقع على ضفة نهر «الكاليندي». وكان إسمه «أجنيسفامين». وكان لذلك البرهمي إبنة رائعة الجمال والرواء، حتى لقد كان الناس يحدسون أن الخالق ولا شك قد احتقر سائر مخلوقاته من عذاري الجنيات، بعد أن صاغها في تلك الصورة النادرة من الفتنة والبهاء!.. وإنقضت الشهور والسنون حتى إذا بلغت الفتاة من الزواج، حدث أن وصل إلى الولاية ثلاثة من البرهميين قادمين من ولاية «كانياكوبجا»..

وتقدموا جميعاً إلى الأب طالبين يدها، وكان كل منهم يضمر للآخر حقداً فظيعاً، إذ ينافسه في الفوز بها، حتى لقد هدد كل منهم بالإنتحار إذا تزوجت من غيره . وقد خشى «أجنيسفامين» أن ينفذوا تهديدهم، فيتحمل وزر سفك دماء بريئة، ومن ثم قرر ألا يزوجها لأي منهم، وظلت الفتاة بكراً .. لكن الخطاب الثلاثة لم يفقدوا الأمل، فقبعوا في أماكنهم: وظلوا طوال–الليل والنهار–يتأملون سناء.

وإذ كان يداعب شعر«ضياء القمر»بأنامله، سقطت زهرة اللوتس التي كانت تزين أذنها فخذها، فأحدثت به جرحاً غائراً.

وجهها الوضاح الذي يشبه البدر، دون كلل أو ملل، وكأنهم طيور الكاكورا التي تتغذى على ضوء القمر!.

وفجأة داهمت الحمى العذراء«ماندارافاني» ولم تلبث أن فاضت روحها، فقام الخطاب الثلاثة بمراسم الدفن، وقد هدهم الحزن هدا، فحملوا جثتها على أكتافهم إلى أرض المحرقة، ثم أشعلوا فيها النيران.. وشيد أحدهم كوخاً صغيراً فوق قبرها، وظل يرقد–آناء الليل وأطراف النهار–فوق رماد جثتها، ولا طعام له سوى ما يجود عليه به أهل الخير من الخبز، وجمع الثاني العظام المتبقية من جثتها ورحل بها إلى نهر«الجانجز». أما ثالثهم فقد أخذ يهيم على وجهه يتسول، متنقلاً من بلد إلى بلد آخر.. حتى وصل إلى قرية«فاكرولاكا»: حيث دعاه أحد البرهميين للنزول في داره. وفيما كان يتناول طعامه، بدأ أحد أطفال صاحب الدار في البكاء. وعبثاً حاولت الأم إسكاته، فإستشاطت غضباً، وما كان منها إلا أن قذفته بالنار المشتعلة. فما كاد جسده الرقيق يلمس النار حتى تحول إلى رماد. وإذ ذاك وقف شعر المتسول فزعاً واستنكاراً، وصاح قائلاً:«يا للهول!.. لابد أنني دخلت منزل غول آدمي، وحاشا لي أن ألمس شيئاً من هذا الطعام الذي هو الخطيئة ذاتها!».

لكن الأب قال له: «لاتفزع يا صديقي. فأن عندي سحر يبعث الموتى!».. وأمسك مخطوطاً صغيراً وراح يقر أمنه تعويذة سحرية، فوق كومة من التراب، حتى إذا إنتهي من القراءة، نثر التراب فوق رماد الجثة، فإذا الطفل ينهض حياً، ليس به ثمة سوء فهدا روع المتسول وعاد إلى طعامه من جديد. وعلق المضيف المخطوط على مشجب في الدار ثم إنهمك في إلتهام عشائه؟.

وإنتظر المتسول حتى إستغرق جميع أهل البيت في النوم، ثم سار على أطراف أصابعه إلى المشجب، وأخذ المخطوط وتسلل به خارجاً. وإتجه لتوه إلى أرض المحرقة التي تضم رماد جثة «ماندارافاتي» .. وفي الطريق صادف البرهمي الثاني عائداً من نور«لجانجر»، بعد أن طهر عظامها في مياهه المقدسة. وبعد مسيرة عدة أيام إنضما إلى زميلهما الثالث الذي مكث فوق أرض المحرقة ليحرس رماد جثتها!.

وقال المتسول: «لابد من هذم الكوخ، حتى أستطيع أن أعيد محبوبتنا إلى الحياة، مستعيناً بقوة التعويذة السحرية».

وتكاتفوا على العمل حتى هدموا الكوخ. وإذ ذاك أمسك المتسول بالمخطوط وراح يقرأ التعويذة السحرية فوق كومة من التراب، ثم نشر التراب فوق رماد جثة«ماندارافاتي»..

وعلى الفور نهصت حية، في صورة أجمل وأبهي مما كانت عليه من قبل .. وكان النار قد طهرت جسدها وصقلته من جديد!.. وبما أن

وقع بعصير البرهميين الثلاثة على الفتاة التي بعثت من الموت. على ذلك القدر من الجمال، حتى أصاب قلوبهم سهم العشق، فرغب كل منهم في الإستحواذ عليها دون الآخر، وما لبث الشجار أن دب بينهم من جديد !.

قال الأول: «إنها زوجتي. فأنا الذي أحييتها بالتعويذة السحرية. وقال الثاني: «بل الفضل في ذلك يعود إلي، فأنا الذي ظهرت عظامها في مياه نهر«الجانجز»».. أما الثالث فقال :«كلا، إنها زوجتي أنا.. فلولا حراستي لرمادها، لما تبقى منها ما يمكن إحياؤه .. إن الفضل يعود إلى إخلاصي وتفاني!».

***

وقال الشيطان للملك : «هب إنك كنت قاضياً، وعرضت عليك هذه القضية، فبماذا كنت تقضي فيها ؟.. أيهم أحق بالزواج من الفتاة .. وإعلم أن رأسك سيمزق أشلاء. إذا كنت تعرف الجواب، وتأبي الإفصاح عنه!».

فأجاب الملك قائلاً : «الرجل الذي أعادها إلى الحياة بواسطة التعويذة السحرية – بعد مجهود شاق–ويمكن إعتباره أباها، فإن الدور الذي قام به أقرب إلى دور الأب منه إلى الزوج.. والثاني الذي طهر عظامها في مياه نهر «الجانجز»يمكن إعتباره إبنها .. أما الثالث و الذي

هجـر العـالم، وكـرس حياتـه لحراسـة رمادهـا، فهـو-فـي رأيـي-الـزوج الحقيقي!».

وما كاد الملك يفرغ من إجابته حتى اختفى الشيطان من فوق كتفه؛ فقرر أن يقتنده من جديد.. ذلك لأن الرجل العظيم، الذي يتصف بالأخلاق القويمة، لا يقبل أن يحنث بوعده، مهما كانت المخاطر التي يتعرض لها في سبيل ذلك. وعاد الملك إلى شجرة «السيستو»، وهناك وجد الجثة تتدلي منها، فحملها فوق كتفيه.. و فيما كان يسير بحمله، تحدث إليه الشيطان قائلاً: «أرى أنك تتصف بالحكمة والمثابرة. وهذا من دواعي غبطتي وسروري. فدعني إذن أنفى إليك بقصة طريفة .. أنصت الى اللغز التالي:

الزوجة الحائرة

«منذ أجيال بعيدة، كان يتولى حكم الكرة الأرضية ملك مشهور، يدعي«ياساهكيتو»–أو بيرق الصيت، وقد أتخذ من مدينة «سوبهافاني» عاصمة لملكه .. وكان الناس يتوافدون من كل أرجاء المعمورة ليحجوا إلى معبدها الجميل الذي كراس لعبادة الآلهة البيضاء، وليغتسلوا في مياه بحيرتها–المسماة بحيرة الآلهة– حتى يتطهروا في مياهها المقدسة من ذنوبهم وآثامهم!.

وذات يوم، شد أحد الحجاج الشبان رحاله، من بلدته «براهماستالا»، متجهاً إلى البحيرة المقدسة ليتطهر من أدرانه.. فلما وصل إليها وقع بصره على فتاة رائعة الجمال كانت قد أتت بدورها لتغتسل في البحيرة.. وكان اسمها «ماداناسونداري»، وهي إبنة كاهن البحيرة «سودهاباتا». فما أن لمحها «دهافالا»– كان هذا هو إسم الشاب–حتى أصاب سهم الغرام قلبه، وقد بهره جمالها الأخاذ ، فخيل إليه أنها ولابد قد سلبت القمر بهاءه!.

وعاد إلى منزله–في ذلك المساء– وهو يعاني آلام الشوق والهيام، فعافت نفسه الطعام والشراب، ولاحت عليه دلائل العشق والغرام. وإذ لاحظت أمه التغير الذي ألم به سرى القلق إلى فؤادها، فأخذت تلح

عليه بالسؤال عساه يفضي إليها بمكنون قلبه، حتى كشف لها–آخر الأمر–عن سر غرامه بالفتاة.. ذلك الغرام الذي لم يكن له فيه ثمة أمل. فهرعت الأم إلى زوجها «فيمهالا» طارحة بين يديه مشكلة إبنها. بيد أن هذا لم يجد في الأمر مدعاة لليأس، وقال لإبنه:

« لماذا أنت مبتئس هكذا يابني؟ أن أمنيتك ليست عسيرة التحقيق. إن «سودهاباتا» لن يضن عليك بيد إبنته، إذا طلبتها منه. حقاً إننا لا ندانيه في شرف المهنة ووفرة الدخل، إلا إننا أصدقاء منذ زمن بعيد، وللصداقة حقوقها!».

وأعادت كلمات الأب السلام والطمأنينة إلى نفس الإبن، فهدا روعه، وعاد إلى تناول طعامه. حتى إذا كان اليوم التالي، إصطحب الأب إبنه إلى منزل «سودهاباتا»–والد الفتاة–وطلب منه أن يوافق على زواج إبنته من إبنه «دهافالا». وكان الأب على حق في تفاؤله، إذ أن أب الفتاة رحب بعالب الرجل، بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك إذ حدد اليوم التالي لعقد القرآن!.

وما إنتهت مراسم الزواج، حتى شد الفتى رحاله عائداً إلى أبيه في مدينة «براهماستالا»، حيث عاش مع عروسه هانئين، ترفرف السعادة حولهما!.

***

وذات يوم، زارهم شقيق العروس، فرحب به جميع أهل البيت ترحيباً حاراً. وبعد أن نال حظاً من الراحة قال لهم: «لقد أرسلني أبي لدعوة «ماناسونداري » وزوجها الحضور الإحتفال بتكريم الآلهة العظيمة، فقبل العروسان الدعوة بسرور. وقضت «ماناسونداري» وجميع أهل البيت بقية اليوم في إعداد لوازم الرحيل، وفي تزويد الضيف بكل ما لذ وطاب من طعام وشراب!.

وفي اليوم التالي شرعوا في رحلتهم عند الفجر.. وفي أثناء سيرهم، مروا بمعبد الآلهة البيضاء، الفخم البنيان، فحلت بالزوج نوبة من نوبات الورع والتقوى ، وقد أحس بحاجة ملحة إلى تقديم صلاة الشكر إلى الألهة التي حققت الله أعز أمانيه. فقال لزوجته وأخيها: «هلم بنا نزور سيدتنا،

«الآلية العظيمة»، لكن الأخ إعترض على ذلك بقوله: « كيف نزور الآلهة، دون أن نحمل لها هدية أو ذبيحة ؟»، فقال «دهافات»: إذن، سأذهب بمفردي، فانتظراني هنا .

ودخل «دهافالا» المعبد، وخر على ركبتيه في خشوع أمام تمثالها، وراح يسكب قلبه في صلاة خاشعة، مردداً مآثرها وأفضالها على البشر مناجياً إياها بقوله: يامن خنقت المارد «رورو» بأذرعك الثماني عشر. ومن وطأت المارد لا «ماهيشا» بقدميك الدقيقتين اللتين تشبهان زهرة اللوتس!».. وإذ ذاك خطر في ذهنه خاطر غريب، فقال في نفسه: «أن

الناس يزورون الألهة حاملين معهم ذبائح تقطر دماً، ينزلفون بها إليها، أفكثير على أن أقدم لها أعظم ذبيحة على وجه البسيطة .. وهي نفسي؟!».

وإلتفت حوله فوقعت عيناه–في المذبح الخالي من الرواد–على سيف كان بعض الحجاج قد تركوه خلفهم، فربط شعر رأسه بحبل الناقوس، ثم حز رقبته بالسيف. وكان السقوط رأسه على الأرض رنين كرنين الأجراس، دلالة على أن تقدمته قد حازت القبول لدى الألهة!.

وطال إنتظار الزوجة وأخيها له في الخارج به دون أن يبدو له أثر. وأخيراً لم يجد الأخ مفراً من دخول المعبد ليبحث عنه. فإذا به يعثر على جثة زوج أخته ملقاة على الأرض، مقطوعة الرأس. فإضطرب إضطراباً فظيعاً، وإنتابه كرب وهم لا قبل له بهما، ولم يجد في نفسه الشجاعة الكافية.

لأن يعود إلى أخته حاملاً ذلك النبأ المشئوم، ففضل أن يتخلص بدوره من حياته، مستخدماً ذات السيف في قطع رقبته!.

ولما لم يعد الأخ كذلك هاجمت الهواجس والمخاوف نفس«مادانا سونداري».. فدخلت المعبد، وتخيل يا صاحب الجلالة مدى جزعها ولوعتها، حين شاهدت جثتي زوجها وأخيها ملقانين على الأرض بدون رأسين!.. لقد أخذت تولول وتندب، صارخة: وا لهفتاه!.. واحر قلباه!

ماذا بقي لي بعد أن فقدت زوجي الحبيب وأخي العطوف؟»، ولم تلبث أن سقطت على الأرض مغشياً عليها .

حتى إذا عادت إلى وعيها لم تذكر شيئاً مما حدث، ولكنها مالبثت أن لمحت المنظر الرهيب، فعادت ترثي حبيبيها اللذين فقدتهما فجأة ، وهما بعد في ريعان شبابهما، وأخذت تسائل نفسها ما جدوى حياتها من بعدهما؟.. ومن ثم قررت أن تلحق بهما. إلا أنها قبل أن تشرع في تنفيذ ما إستقر عليه عزمها، إتجهت إلى الألهة بصلاة قالت فيها:«أواه أيتها الآلهة العظيمة!.. صاحبة السلطان على جميع الآلهة.. يا من توزعين السعادة والفضيلة بين الناس .. يا من تمنحين جسدك عن حب–لزوجك عدو الحب!.. يا ملجأ الجميع عند الضيق.. يا من تواسين المكروبين وتمسحين عنهم أحزانهم!.. لماذا حرمتني من زوجي وأخي.. أنني لا أستحق منك ذلك. فأنا أشد عبادك إخلاصاً وتديناً. هاأنذا ألقي بنفسي تحت قدميك، سائلة أباء الرحمة. أنني على إستعداد لأن أخلع عن نفسي هذا الجسد الفاني، ولكن.. أناشدك عندما أولد من جديد، أن تخلقيني بنفس هيئتي، وأن يكون زوجي هو ذات زوجي وأخي هو ذات أخي!».

وعندما فرغت من صلاتها الحارة إنحنت للآلهة في تبجيل و إحترام، ثم علقت أنشوطة على فرع من فروع شجرة «أسوكا» في فناء المعبد. وفيما هى تهم بوضع الأنشوطة حول رقبتها، إذا بصوت من السماء يتردد في تلك اللحظة قائلاً:

«لا تمسي نفسك بسوء يا بنيتي و إنك لا تدركين مقدار سعادتي إذ عثرت على هذا القدر من الفضيلة في جسد فتاة جميلة، في ريعان شبابها.. ولذلك قررت أن أستجيب لصلواتك، وأن أبعث زوجك وأخاك إلى الحياة .. فابعدي الحبل عن عنقك، وضمي رأس كل مشويا إلى جسده، فإذا هو حي يرزق!».

وقد أطاعت «مادانوسونداري» أمر الآلهة، فأبعدت الحبل من عنقها، ثم ركضت إلى داخل المعبد، في إهتياج و لهفة جعلتها تخطيء فتضع رأس زوجها إلى جسد أخيهما، ورأس أخيها إلى جسد زوجها.. وكادت أن تطير من الفرح حينما رأتهما ينهيان وليس بهما سوء–إذ لم تكن قد فطنت بعد إلى خطئها–وقد خر الرجلان والمرأة عندئذ على الأرض ركعا أمام الآلهة، يسبحون بحمدها، ويقدمون إليها القرابين!.

وفي طريقهم إلى المنزل وراحوا يتناقشون في أمر المعجزة الخارقة التي حدثت لهم. ومن ثنايا ذلك الحديث أدركت «ماداناسونداري » الخطأ الذي وقعت فيه بإستبدال رأسيهما، فإستولت عليها الحيرة والجزع، ولم تعرف ماذا تفعل..».

وإستطرد الشيطان قائلاً: «والآن، أخبرني يا صاحب الجلالة. من من الرجلين أصبح زوجها؟ .. وإنني أنذرك بأني سأحطم رأسك وأحيلها إلى أشلاء صفيرة، إذا كنت تعرف الجواب وتأبي الإفصاح عنه». وإستغرق الملك«تريفيكراماسينا»في التفكير فترة من الزمن، ثم قال: «أن

الرجل الذي يحمل رأس الزوج وجسد الأخ هو زوجها الحقيقي.. ذلك لأن الرأس–التي تضم بين ثناياها عقل الإنسان–هي أهم عضو من أعضاء الجسد، وأرفعها شأناً. أما باقى الأعضاء فمجرد توابع لها تأتمر بأمرها.. ثم كيف يستطيع جسد الزوج أن يعاشر زوجته والرأس التي توجهه تعلم علاقة الأخوة التي تجمع بينهما؟.

وما أن نطق الملك بالجواب الصحيح حتى اختفى الشيطان–مرة أخرى–بطريقة غامضة من فوق كتفيه، فعاد الملك إلى مطاردته من جديد، وهنالك وجده متدلياً من شجرة «السيستو»، فحمله فوق كتفيه عائداً أدراجه، وبينما كان الملك يسير بحمله تحدث الشيطان إليه قائلاً: «إليك لغزاً آخر من المغازى، لعلك تنسى همومك :

ثلاث ملكات رقيقات

«كان «دهارمادهاناجا» ملك إقليم «يوجا ييني» متزوجاً من ثلاث زوجات يجري في شرادييهن الدم الملكي، وكن جميلات فاتنات، مطيعات لأوامره، لا هم لهن إلا إزجاء السرور إلى نفسه، فكان يغمرهن بعواطفه التي كان يوزعها عليهن بالعدل، دون تمييز بين هذه وتلك. وكانت إحداهن تدعى «ضياء القمر»، والثانية «وهج النجوم»، والثالثة «بشرة الندى». وكان الملك قد هزم كل أعدائهم هزيمة منكرة، فإستتب له الأمر، ووفي بعهوده لرعاياه، فلم يعد لديه ما يشغل باله أو وقته. ومن ثم عاش هانئاً، سعيداً مع ملكاته الفاتنات!.

وذات يوم، خرج الملك مع زوجاته إلى حدائق القصر الملكي، ليحتفلوا بمقدم الربيع. وكانت الكروم محملة والأعشاب النافجة والأوراق النفيرة، التي كانت تلوح وكأنها به مقام الفرام في يد إله الحب، يصوبها إلى ضحاياه الراضين بقضائه، وطيور الجنة تصدح بأناشيد الهوى فوق فتن الأشجار، وكأنها همسات إله اللذة الذي ليس له من هم سوى الإغراء بالوصال وتبادل كؤوس الهوى بين العاشقين وربات الجمال!.

وإستغرق الملك مع زوجاته في تأمل مناظر الطبيعة الساحرة المتألقة، ورشف كؤوس الخمر المعتقة. وفيما هو يتلذذ بمذاق الشهد المخمر الذي عطرته أنفاس زوجاته، وسرت فيه حمرة شفاههن التي تشبه ثمار الكرز، وإن كان يداعب شعر «ضياء القمر» بأنامله، سقطت زهرة اللوتس

التي كانت تزين أذنها فوق فخذها فأحدثت به جرحاً غائراً. وعندئذ سالت دموع الملكة الرقيقة–ذات القوام البديع والمنبت الرفيع–وما لبثت أن سقطت مغشياً عليها!.

وكاد الملك أن يفقد عقله من فرط القلق والإضطراب، حين رأى ما حدث لمحبوبته وأرسل يستدعي الوصفات على عجل، فهرعن بمراوح من ريش النعام غمست في الماء، محاولات أن يعلن إليها رشدها. ثم لم يسع الملك في النهاية إلا أن عاد بها إلى القصر حيث أتركها في رعاية الأطباء، يعالجون الجرح الخطير بالمراهم والعقاقير!.

* * *

وفي المساء علم الملك أن «ضياء القمر» قد إستردت وعيها، بعد أن إلتأم جرحها وغدت في خير حال، فهدا باله وإطمأن بلباله. وإصطحب زوجته الثانية «وهج النجوم» إلى شرفة القمر التي تقع فوق سطح القصر، وكان هناك سرير ضخم قد هيء خصيصاً لمثل هذه

المناسـبات، فلـم يلبثـا أن إستسـلما للهـوى الجـامح، وراحـا يتبـادلان القبلات النارية.

بيد أنه معروف عن القدر أنه يحقد على بني البشر، ويستكثر عليهم لحظة من سعادة، فلم يكد العاشقان يستغرقان في سنة من النوم، حتى إخترقت أشعة القمر ثوب الملكة الشفاف ولمست جسدها الرقيق، فهبت من نومها صارخة: «أواء !.. لقد إحترقت بشرتي!»، ثم قفزت من فراشها وهي تتحسس ذراعيها وساقيها. وإستيقظ الملك على صوت صراخها، فرأى آثار قروح تغطى جسدها كله، فسألها مضطرب الروح عن سبب هذه القروح، فأجابته

قائلـة: «كنـت أرقـد شـبه عاريـة، فسـقطت أشـعة القمـر علـى جسدى!».

وعندئذ صاح الملك يستدعي الوصيفات، فأقبلن راكضات في إضطراب وجزع. فأمر من أن يهيئ لها فراشا ورق الأشجار المبللة بالماء، وأن يعالجن حروقها بمرهم الصندل .

* * *

أما الملكة الثالثة «بشرة الندى» فما كادت تسمع ماحدث لضرتها الملكية، حتى قررت أن تزورها لتطمئن عليها، ولكنها لم تكد تبرح جناح الحريم و تغف في الخلاء، حتى بلغ مسامعها–خلال سكون الليل

المطبق–صوت أصم أذنيها.. وكان ذلك صوت طاحونة على مقربة من القصر تطحن أرزا. وإذا بالملكة الفاتنة، ذات العينين اللتين تحكيان قطرات الندى، تمد أيديها إلى الأمام، صالحة: «أواه! إنني أموت!»، ثم سقطت في الطريق وهي تتأوه من الألم .

وكانت الوصيفات قد عدن لتوهن من عند الملكة الثانية، فوجدن الملكة الثالثة رائدة على الأرض ناقدة الوعي. فحملنها إلى جناح الحريم حيث أرقدنها في الفراش وهي ساكنة لاتحير حراكاً، وإن كانت شفتاها نصف المضمومنين لاتفتآن تند عنهما أنات تذيب نياط القلوب، ولم تكن واحدة منهن تعرف ما أصاب الملكة، إلا إنهن ما كان يجردنها من ثيابها، حتى إنفجرن باكيات معولات، إذ رأين بثوراً حمراء تغطى ذراعها، اللتين لاحتا أشبه بزهرة من زهور اللوتس أوسعها سرب من النحل لذعاً ولدغاً؟.

ومرة ثالثة هرع الملك إلى معشوقته، متسائلاً–في قلق–عما حاق بها، فكشفت له عن ذراعيها قائلة: «إنظر. حين سمعت صوت الطاحونة، إمتلأت ذراعاى بهذه البثور الحمراء!» .. فأصدر الملك أمره بإستدعاء الأطباء ومعالجة ذراعيها بمرهم الصندل وغيره من العقاقير التي تستخدم لعلاج مثل هذه اللذعات واللدغات!.

* * *

وعند هذا الحد كان اليأس والدهشة قد أخذا من الملك كل مأخذ، فلم يكن يدرى أي عين شريرة أصابت زوجاته الجميلات الوديعات.. فهاهي الأولى تجرح فخذها زهرة رقيقة من أزهار اللوتس، والثانية يحرق ضوء القمر بشرتها، والثالثة أصابها مجرد سماع صوت طاحونة، تدور من بعيد، ببثور ملأت ذراعيها!.. أواه. لقد شاء القدر القادر أن يقلب ما كانت تمتاز به ملكاته الثلاث من رقة–وهي الميزة التي كان لا يمل التغني بها–إلى عيب يشهوههن كل تشويه!.

وراح الملك يذرع غرفته جيئة وذهاباً بخطوات مضطربة، وهو يحاول عبثاً أن يجد نفسها لتلك الكارثة التي حاقت به وبزوجاته الملكيات!.. وقضى ثلاث ليال، لا يعرف النوم سبيلاً إلى جفنيه، فكانت كأنها ثلاث سنوات. ثم في اليوم الرابع بشره الأطباء بأنهن جميعاً قد أبللن من مرضهن، فعادت الإبتسامة تشرق على شفتيه، والهدوء يغمر صدره، والهناء يملأ قصره!».

وبعد أن فرغ الشيطان من قصته، سأل الملك قائلاً:

«والآن». أخبرني أبها الملك، أيهن كانت أشدهن حساسية؟ تذكر أن اللعنة ذاتها ستحل بك، إذا كنت تعرف الجواب وتضن به!».

فأجابه الملك: «ما من ريب في أن الثالثة كانت أشدهن حساسية، وهي التي ملأ صوت الطاحونة وجسدها بالبثور الحمراء. فالأولى والثانية

قد لمس جسديهما شيء ما، ومن ثم فلا وجه للمقارنة بين حالتيهما وحالة الثالثة!».

ومرة أخرى إختفى الشيطان بمجرد سماعه إجابة الملك عائداً إلى مأواه في شجرة «السميستو». ومع ذلك فقد أعاد الملك الكرة في إصرار. مقتفيا أثره. ولم يلبث أن أنزله من الشجرة. وحمله فوق كتفيه.. وفيما كان يحث الخطى في طريقه، إنبعث صوت الشيطان قائلاً: «لدي قصة أخرى يا مولاي. فأنصت إليها :

الفانية الحقود

«منذ آلاف السنين كانت مدينة «كانا كابورا»–التي تقع على ضفاف نهر«الجانجز»–مشهورة بإحترام أهلها لقوانينها ونظمها. فلم يكن يجرؤ أحد على إتيان أية مخالفة

أو إرتكاب أية جريمة.. ذلك لأن الملك «ياسودهانا»–أو ذائع الصيت–كان يحمل إسمه عن جدارة وإستحقاق.. كانت هيبته وجلاله تحميان عرشه من عواصف التكبات ، كما تفعل الجبال إذ تحيط بالمدينة، فتحول دون إكتساح الأمواج لشواطئها، وقد أرسلت طلعته البهية وهجا أضاء جميع بلدان الدنيا، مضفياً عليها بهجة وحبوراً.. بل أن صيته مالبث أن ذاع بين الناس، فطفى علي صيت الشمس والقمر معاً!.. لذلك فإن الباحث عن الحماقة والغباء لم يكن يجد لهما أثراً في دولته، وأن كان يجدهما متوفرين بين خصومه الذين يناصبونه العداء!.

وعلى شاكلة سواه من بني البشر، لم يكن الملك «ياسودهانا» كامل الخصال، بل كانت تشوبه بعض النقائص والعيوب، ولكن هذه العيوب كانت تتخد شكلاً يختلف تمام الإختلاف: فقد كان جباناً.. لا يجرؤ على إرتكاب المعاصي والآثام، شرها، جشعاً.. إلى الشرف،

عنينا، فاقد الرجولة.. بالنسبة لزوجات الآخرين؟.. ومن ثم فلا غرابة في أن رعاياه كانوا يتغنون بمآثره ومزاياه، وينادونه يبطل الشجاعة والكرم والحب!!.

وكان ثمة تاجر ثري يقطن في تلك المدينة، وله إبنة ذات جمال صاعق، أطلق عليها اسم «يونماديني»–أو سابية العقول–لأن كل من كان يقع بصره على جمالها الفتان، سواء أكان شاباً أم شيخاً كان يفقد وعيه على الفور.. وكان إله الحب قد ميزها – دون غيرها من البنات–بنعمة الفتنة والسحر!.

***

وإنقضت سنوات، شبت فيها الفتاة، وما لبثت أن بلغت عطور النساء، وتفجرت أنوثتها. فكتب أبوها إلى الملك خطايا قال له فيه: «يا صاحب الجلالة. لقد أنعمت على السماء بإبنة أدركت لتوها سن الزواج. وهي تشبه جوهرة العوالم الثلاث.. وقد تقدم لها كثيرون طالبين الزواج منها، لما حظيت به من بسماء الطلعة ونقاء السريرة. ولكني لست أجرؤ على أن أهبها لأحد منهم، قبل أن أعرف الأمر على جلالتكم اولاً . فقد جرى العرف على أن الملك أحق الناس بالتمتع بجميع خيرات الدنيا وجواهر العالم... والأمر متروك لكم، فإما أن تتفضلوا بقبول هديتي المتواضعة، أو تعتقوها تكون لغيركم!».

فلما قرأ الملك الرسالة، أرسل ندماءه ليروا أن كانت الفتاة تحمل طابع اليمن والحظ السعيد. وإذ وقعت أبصار الندماء على ذاك الجمال الصارخ والفتنة الطاغية التي لم يروا لها مثيلاً من قبل، وسقطوا جميعاً في غيبوبة، حتى إذا أفاقو من غاشميتهم وراحوا يتشاورون في الأمر قائلين: «أن زواج الملك من تلك الفتاة من شأنه أن يكون سبباً في تهاوي العرش لا محالة، لأن هذا الجمال خليق بأن يذهب بعقله ويفقده رشده، ومن ثم ينفي أن تنقل إليه أنها تحمل دلائل النحس وشؤم الطالع!».. وقد كان من نتيجة التقرير الذي تقدم به الندماء إلى الملك، أن رفض العرض الذي تقدم به التاجر. فما كان من هذا إلا أن زف إبنته إلى«بالادهارا»، قائد جيش الملك، الذي كان قد تقدم طالباً يدها!.

وكان «بالادهارا» مثالاً الزوج المخلص الوفي، فعاشت «يونماديني» مع زوجها القائد ترتع في النعيم، لا ينغص عليها حياتها سوى خاطر ما فتىء يعاودها من فترة لأخرى، فتقول في نفسها: «لقد رفض الملك أن يتزوجني، لأنه وجدني سيئة الطالع!».

وإنقضت الأيام والأسابيع والشهور.. حتى أطلق سراح فيل الشتاء، فهشم بأنيابه المصنوعة من زهور الياسمين براعم اللوتس، ثم هجم على أسد الربيع فولي الأدبار إلي الغاية هارباً!.. وقد جرت العادة –في مثل هذه الأيام من كل عام– على أن يقام إحتفال ضخم. ومن ثم فقد إمتطى الملك «ياسودهانا» فيلًا وخرج به إلى المدينة ليستمتع لمشاهدة الإحتفالات الشعبية!.. وكان ضاربو الطبول يتقدمون الموكب، وأحد

المنادين يصيح بأعلى صوته محذراً الرجال من ترك نسائهم يتجولن في الشوارع، أو يظهرن في الشرفات أو السطوح، خشية أن تقع أبصارهن على جمال طلعة الملك، فيفقدن صوابهن، ويرتكبن أفعالًا غير لائقة!.

فما سمعت «أونماديني» النداء، حتى صعدت –متعمدة– إلى سطح منزلها، وتصدت لموكب الملك. فما رآها هذا حتى تستمر في مكانه غير قادر على رفع نظراته عن تلك المرأة التي لاحت له وكأنها نار الحب قد نفث فيها الربيع أنفاسه العطرة، ففاحت منها رائحة المسك، وتأجج لهيبها!. ولم يلبث جمالها الأخاذ– الذي إستخدمه إله الحب كرمح يخترق به قلوب ضحاياه –أن أصاب شغاف قلبه، فسقط مغشياً عليه!.

وما كاد يعود إلى قصره حتى إستدعى أفراد حاشيته، وراح يستجوبهم فرداً فرداً، وإذا به يعلم أنها هي ذات المرأة التي قدمها أبوها إليه بنفسه، وإعتذر هو عن قبولها!.. فما كان منه إلا أن أمر بنفي البرهميين الذين نطقوا بالزور والبهتان حين زعموا أنها تحمل دلائل النحس!.

وغدا النوم بالنسبة له عصياً، لا يذوق منه إلا قدراً هزيلاً. و كان حتى حين تأخذه سنة من النوم، تتراءى له أحلام غريبة، فيهذي قائلًا: «أواه!.. ما أوقح هذا القمر، وما أقل حياءه، إذ يجرؤ على الظهور هكذا بإنتظام وكانه ليس ثمة مصدر للنور سواه؟!.. ألا يعلم بذلك المحيا الذي

يلوح للناس فينسون القمر ويجدون فيه ملهاة وسلوى.. أن دوارق الشراب المذهبة، لأتضاهى ثدييها الشامخين إستدارة وإمتلاء!.. ومن ذا الذي يرى ردفيها الباسقين ولا تشتمل الدماء في عروقه، وتتفجر في جسده ينابيع الرغبة والإشتهاء؟!».. وظل الملك يهذي هكذا في أحلامه ليلاً، ويكتوي بنار الوجد الذي يفتك بجسده نهاراً!.. وقد جاهد كثيرا ليخفي مظاهر خزيه وعاره من أقرب المقربين إليه، غير أن محاولاته باءت بالفشل، ولم يملك –آخر الأمر– إلا أن يجيب على أسئلة خدمة المخلصين –والتي كانت تلاحقه أينما ذهبه– فباح لهم بسر هواه المكظوم!.

وعندئذ قالوا له: «لماذا تعذب نفسك هكذا والمرأة من رعاياك؟ لعلك تظنها تجد غضاضة في الإستسلام لذلك الشرف الذي تسبقه عليها، وإلا فماذا يحول بينك وبين الإستحواذ عليها ؟».. إلا أن الملك الشريف أبى أن ينصاع لهم، وأصر على التمسك بأهداب القانون الذي يحرم على الناس التعدي على ممتلكات الغير. وسرعان ما إنتشرت القمة بين الناس، حتى وصلت إلى مسامع قائد الجيش، زوج محبوبته. فبادر هذا بالتوجه إلى الملك قائلاً: «لقد حضرت –يا مولاي– لاتنازل لك عن زوجتي، وهي منذ اللحظة زوجتك شرعاً وقانوناً، وليست زوجة أي إنسان آخر. أما إذا كان ضميرك لا يجيز لك ذلك ، فإني على إستعداد

لأن أكرسها للمعيد [٣]، حتى لا تضطر إلى إقتراف خطيئة إغتصاب زوجة رجل آخر!».

فإستشاط الملك غضباً، وصاح في قائده قائلاً: إذا كنت وأنا الملك –الموكل إليه شئون رعاياه، والذي يتخذه الجميع قدوة يترسمون خطاها– أرتكب مثل هذا الإثم الفظيع، والمخالفة الصريحة للقانون، فهل أملك بعد ذلك الإقتصاص ممن يخالفه؟.. ألا تعلم أن الناس على دين ملوكهم، أن أحسنوا صلحت رعيتهم، وإن أساءوا فسدت الرعية؟.. فما كان ليخطر ببالي يوماً من الأيام أن تصدر هذه النصيحة المشئومة منك أنت، المخلص لي، فتغريني على إرتكاب هذا الذنب العظيم، الذي ربما أتاح لي قدراً ضئيلًا من اللذة، لكنه سيصبح فيما بعد مصدر عذاب أبدي، يصليني بناره في الحياة الأخرى!.. ثم، كيف تجيز لنفسك هجران زوجة وفية، لا هم لها سوى إسعادك؟.. كلا. إن شرفي ونبل محتدي يأبيان على ذلك، بل إنني أفضل الموت على إنتهاك حرمة الزواج المقدس بهذه الصورة!». وبالفعل، ظل الملك يكظم رغبته العارمة في نفسه، ذلك أن الرجل الذي أوتي روحاً صافية –تداب على السمو بمشاعرها– يفضل الموت على الإنحراف عن طريق الحق والعدالة!.

---

(٣)يقصد أن يوهبها المعبد شيت تمارس العارة التي كانت إحدى طقوس العبادة!.

وإحتشد سكان المدينة حول الملك يناشدونه أن يأخذ المرأة، لكنه ظل صلباً كالصخرة، لا يحيد عن القرار الذي إتخذه قيد أنملة. إلا أن نار الغرام المستمرة ما لبثت أن أفنت ذلك الجسد الذي أنهكه الصراع الدائر في داخله بين الوفاء والشهوة، فلم تبق منه سوى قدراً من الرماد، وصيتاً نقياً ذاع بين العالمين!.. وحزن الشعب لموت الملك حزناً شديداً، لاسيما قائد جيشه الذي لم يحتمل الصدمة، فإنطلق إلى أرض المحرقة حيث كان رماد جثة الملك، ثم ألقى بنفسه بين النيران المتأججة، ولم يلبث أن لحق به في الحياة الأبدية!».

***

وما إنتهى الشيطان من سرد هذه القصة الغربية، حتى قال للملك: «أخبرني –ياMولاي– من من الإثنين وكان أكثر إخلاصاً؟.. الملك أم القائد؟..

فأجابه قائلًا: « لقد كان الملك أكثرهما إخلاصاً!».

فسأله الشيطان آسفاً: «لماذا؟ ألم يكن القائد أكثرهما إخلاصاً وهو الذي ضحى بزوجته الفاتنة لغيره، بعد أن تذوق مفاتنها ونعم بجمالها؟.. ثم أنه أحرق نفسه حزناً وكمداً عندما بلغه خبر وفاة الملك. أليس هذا إخلاصاً ما بعده إخلاص؟.. هذا في حين أن الملك لم تكن تضحيته خارقة للعادة فهو لم يجرب عناق تلك الزوجة المثيرة، ومن ثم لم يكن من الصعب عليه الإستغناء عنها!.

فإبتسم الملك وأجاب: «ربما كان هذا صحيحاً. ولكن، ما وجه الغرابة فيه؟.. أمن العجيب أن يضحي قائد –جبل على الإخلاص لسيده –بنفسه في سبيله؟ لقد جرى العرف على أن يبذل الخدم قصارى جهدهم للمحافظة على حياة سادتهم، حتى لو كان في ذلك ملاكهم!.. أما الملوك فمفطورون على التعالي على القانون، وهم لا يفتاون يكسرون –مثل الفيلة الجامحة– أغلال العرف والتقاليد وينطلقون في جموح وراء شهواتهم وملذاتهم!.. إن الغرور والصلف صفتان متغلغلتان فيهم.. وهم إذ يهشون الذباب والبعوض عن وجوههم بمراوح من الريش تشبه ذيول البقر الوحشي، إنما يتخلصون –في ذات الوقت– من ذرات العلم والمعرفة التي توارثوها عن أجدادهم!.. ومظلاتهم الملكية التي لم يذودون بها الشمس عنهم، تحول بين وصول وهج الحقيقة إلى عقولهم المظلمة!.. أما بصيرتهم فتتوه في ثنايا ذرات الغبار التي يثيرها سلطانهم وجبروتهم، فلا يعودون يتبينون طريقهم!.. وما أن يستولي سلطان الهوى على عقولهم حتى يذهب بها!.. وهذا ما حدث لناهوشا وغيره من عظماء الملوك الذين قهروا العالم! أما ذلك الملك، فبالرغم من سلطانه ومجده، فإنه لم يستسلم لفتنة «أونماديني». وقد آثر في النهاية أن يجود بحياته عن أن يحيد عن طريق العدالة والحق!.. لهذا السبب قلت أن الملك كان أكثرهما تضحية وعظمة نفس!».

فما كاد الشيطان يسمع جواب الملك حتى إختفى عن كتفه، عائداً –بقوته السحرية– إلى الشجرة، لكن الملك العنيد عاد إلى مطاردته من جديد. وتابع

إستدراك: نأسف لوقوع خطأ من المطبعة في صفحة ٦١ من هذا العدد، إذ وضع السطر الثالث والعشرين مكان السطر الرابع والعشرين وبالعكس.. فيكون السياق صحيحاً إذا قريء السطر الرابع والعشرين قبل الثالث والعشرين. ومعذرة.سيره خلال أحراش الموتى الفاصة بالأحداث المحترقة، وقد خيل إليه أن الأشباح كانت تخرج له ألسنتها النارية؛ حتى إذا إنتصف الليل، وصل الملك «تريفيكرأماسينا» إلى شجرة السيستو. إلا أنه لم ير في هذه المرة جثة متدلية منها، بل شاهد عدداً كبيراً من الجثث تتأرجح في الفضاء. فقال الملك لنفسه في لوعة: «أواه!.. ما معنى هذا؟ أترى ذلك الشيطان اللعين قد آلى على نفسه إضاعة وقتي.. إنني سأقتل نفسي لو أن هذه الليلة إنقضت قبل أن أفرغ من مهمتي. فلست أطيق أن يهزأ بي أحد!».

وقرأ الشيطان خواطر الملك، وسر من مثابرته، فأمسك عن مداعبته. وعلى الفور إختفت جميع الجثث فيما عدا جثة واحدة. فتسلق الملك الشجرة وأنزل الحثة، ثم حملها فوق كتفيه. وفيما كان يسعى في طريقه خاطبه الشيطان قائلاً: «يا صاحب الجلالة» لم أرى في حياتي من هو أكثر منك همة ودأباً. ومن ثم سأروي لك حكاية!.. إنصت:

ابن وثلاثة آباء!

«منذ آلاف السنين، كان ثمة مدينة إسمها «فاكرولاكا» تشبه مدينة الآلهة. وكان يتولى الحكم فيها ملك يدعى «سوريا برابها» —أي صنو

الإله أندرا– حبته السماء بوجه وسيم، وجسد فارع ممشوق، مكافأة له على فضائله، وحسن سيرته، في حياته السابقة! [٤] .. وكان أهالي

تلك المدينة يتمتعون بحياة هادئة مطمئنة، ولا تعرف الدموع طريقها إلى عيونهم، إلا حين تتعرض للدخان، ولا ترد كلمة الموت على لسان واحد منهم إلا في مناجاة حبيب، ولا ترى العصى الغليظة إلا في أيدي خفراء المنازل!.. ولربما كان من الجائزان تبلغ حياة ذلك الملك – المليئة بجلائل الأعمال ووفير الخيرات– حد الكمال، لو لم ينغص عليه حياته أمر واحد.. وهو أنه رغم عشرات المحظيات اللاتي يقتنيهن، لم يكن لواحدة منهن أن تنجب له ابناً ذكراً!.

وعند هذا الحد من القصة، ينبغي أن تتجه بأبصارنا إلى ميناء «تامرا ليبتي»، حيث كان يعيش «دهانا فالا»، التاجر الذي كان من أثرى أثرياء قومه. وكان لذلك التاجر ابنة وحيدة إسمها «دهانا فاتي»، يستشف كل من يتأمل بهاء طلعتها، من وراء جمالها الأخاذ، سحر ملكة الجان التي سقطت من عليائها إلى باطن الأرض بسبب لعنة صبت عليها!.

وما كادت هذه الغادة تدرك سن الزواج، حتى سقط أبوها صريع مرض خبيث، ولم يلبث أن عاد إلى عناصره الخمسة الأولى [٥] . وعلى الفور ثار بين أقاربه نزاع حاد بشأن وراثة ثروته الطائلة، فلم يسع زوجته

---

(٤)يؤمن الهندوكيون بتناسخ الأرواح، وبأن الروح لا تذهب إلى عالم آخر، بل تعود إلى الحياة في جسد جديد.
(٥)يقصد أنه مات.

الا أن تأخذ قدراً من الجواهر –كان التاجر قد خبأها قبل موته في مكان لايعرفه أحد سواها –ثم تسللت تحت جنح الظلام إلى خارج المنزل، خوفاً من أقارب زوجها، وسارت في الطريق تترنح بخطوات متعثرة، وقد أعماها ظلام الليل من حولها، وعتمة الأسى والحزن في داخلها!.. وقد لاقت في طريقها أهوالًا لا حد لها، غير أنها إستطاعت –آخر الأمر– أن تجتاز أسوار المدينة، ومن هناك إتجهت إلى الغابة وهي تتكيء على ذراع أيتها المسناء.. وبعد مسيرة يوم كامل صادفت أمراً عجيباً: فبينما كانت تتحسس طريقها في الظلام، إذا بكتفها تصطدم بجسد إنسان. وكان ذلك لصاً قد ضبط متلبساً بجريمته، فحكم عليه بالموت جالساً على «خازوق». وكالت أنفاسه لا تزال تتردد في صدره وهو يحتضر. فما كاد كتف المرأة يحتك بجسده، حتى أطلق أنيناً رهيباً، وصاح: «أواه!.. من هذا الذي ألقى فوق جراحي ملحاً؟»، فسألته زوجة التاجر من يكون، فأجاب قائلًا:«إنني لص حكم علي بالجلوس فوق خازوق. ولكنني لما كنت مجرماً، تأبى روحي أن تفارق جسدي. فأخبريني ياسيدتي، من أنت، وإلى أين تقصدين؟».

وراحت الأم تحكي له قصتها منذ البداية. وفيما هي تتكلم، ظهر القمر، فألقى ضوءه الفضي المتألق على أرجاء المكان. وإذ ذاك إستطاع اللص أن يلمح وجهها ووجه ابنتها «دهانافاتي». فقال للمرأة: «قبل أن أموت، لدي رغبة أخيرة أود أن تحقيقيها لي، وسأعطيك مقابلها ألف قطعة من الذهب.. هبيني ابنتك لتكون زوجتي!».. فبوغتت الأم بطلبه الغريب، بيد أنها لم تملك إلا أن تضحك قائلة: ولكن، ما عسى تكون

فائدتها لك؟»، فأجاب اللص قائلًا: «إنني إذ أموت الآن، أموت بلا ابن. ولن أبعث في حياة جديدة، ما لم يكن لي ابن. ولكنني، إذا أصدرت أمري لزوجتي بأن تنجب لي طفلًا –سواء أتى عن طريقي أو عن طريق غيري– فإن هذا الطفل يعتبر ابني الشرعي، ومن صلبي!!».

وأعشى بريق الذهب والجشع أنظار الأم، فوافقت -بلا تردد– على طلبه. وعلى الفور، قامت بنفسها بمراسم الزفاف: أحضرت قدراً من الماء وصبته فوق يدي اللص وهي تقول: «بهذا أهبك ابنتي العذراء».. وما أن أصبحت زوجته شرعاً حتى أمرها بأن تبحث لها عن رجل تنجب منه طفلاً. ثم اتجه بحديثه إلى أمها قائلاً: «إحفرى أسفل شجرة التين هذه، وستجدين هناك صرة الذهب التي وعدتك بها، وأوصيك بأن تحرقي جسدي حين أموت، وبأن تلقي ما يتبقى من عظامي في النهر المقدس، ثم تيممي مع ابنتك صوب مدينة «فاكرولاكا»، حيث تستطيعان أن تعيشا –في ظل حكم الملك «سوريابرابها» الرشيد -في أتم سعادة وهناء!».. وكان الظمأ قد برح به، فأحضرت له حماته كوباً من الماء، ما كاد يشرب –بشراهة– جرعة منه، حتى أسلم الروح!.

وعملت الأرملة بوصية اللصن فأخرجت صرة الذهب من أسفل شجرة التين، ثم تسللت في حذر مع ابنتها إلى منزل صديق من أصدقاء زوجها. ومكثت هناك حتى تمت عملية إحراق جثة اللص وإلقاء عظامه في النهر المقدس، حسب الوصية وطبقاً للطقوس الدينية المتبعة حرفياً.

ثم في اليوم التالى خبأت الكنز في ثيابها، وخرجت مع ابنتها. وسافرا معاً إلى مدينة «فاكرولاكا»، ولم يكونا يتوقفان في الطريق، إلا ريثما يلتقطان أنفاسهما!.. وفي تلك المدينة إبتاعت الأم منزلاً، من تاجر يدعى «فاسوداتا»، وعاشت فيه مع ابنتها «دهانافاتي»..

* * *

وكان يقطن تلك المدينة في ذلك الحين معلم يدعى «فيشنوسفامين» على حظ وافر من العلم والمعرفة.

وكان يتتلمذ على يديه شاب برهمي ينحدر من أسرة عريقة، إلا أنه كان صريع رغبات ومشتهيهات شبابه، فكان كلما وقع بصره على غانيه تدعى «هامسافالي» إشتعل بدنه رغبة فيها، وخفق قلبه ولها وصبابة بها.. لكن الغانية اللعوب كانت تقدر لجسدها ثمناً باهظاً، لم يكن يملك منه شيئاً. فقد كانت تطلب خمسمائة دينار من الذهب ثمناً لليلة غرام واحدة، ومن ثم كانت تعاسته وشقاؤه تزدادان ليلة بعد أخرى!.

وقد تصادف أن أطلت «دهانافاتي» –ذات يوم– من شرفة منزلها، فوقع بصرها على ذلك الشاب الوسيم. فإنجذب قلبها نحوه على الفور وأخذ يدق دقاً عنيفاً. وتذكرت –في تلك اللحظة– وصية زوجها اللص والقسم الذي جعلها تؤديه أمامه، فإتجهت إلى أمها، قائلة في خبث: «إنظري يا أماه. أترين هذا الشاب الوسيم الطلعة، الفارع الطول؟.. ألا يبعث مرآة البهجة في القلوب؟».. فأدركت الأم أن ابنتها قد سقطت

صريعة الغرام، فقالت لنفسها: «أن من حقها أن تختار بنفسها الرجل الذي تنجب منه طفلاً، فلم لا يكون هذا الشاب؟».. ثم بادرت بإرسال إحدى وصيفاتها إلى البرهمي لتستدعيه. وقامت الوصفة بالمهمة خير قيام، فانتجت به جانباً، وأسرت إليه مضمون رسالتها!.

ولكن الشاب الذي كان قلبه متعلقاً بهوي الغانية اللعوب فلما عادت الوصيفة بجواب الفتى لم تجد الأم مندوحة إشترط أن تدفع له أم الفتاة خمسمائة دينار من الذهب. من تسليم المبلغ إليها.. وعندما سجى الليل وسادت الظلمة أرجاء المدينة، تسلل الشاب إلى مخدع الفتاة العاشقة التي تعلقت أبصارها به، كطائر «الكاكورا» الذي لا يحول نظره عن القمر.. وقضى الشاب الليلة بطولها يعزف لها أعذب ألحان الغرام، حتى إذا ما أشرق الصباح تسلل من غرفتها، في هدوء، كما حضر!.

وأثمرت ليلة الغرام، فحملت «دهانافاتي». وفي الموعد المحدد وضعت طفلًا جميلًا، يحمل وجهه علامات اليمن والمستقبل السعيد. وزاد من سعادة الأم والجدة أن المولود جاء ذكراً..

* * *

وذات ليلة ، ظهر الإله «سيفا» في الحلم لكليهما، قائلاً: «أرقدا الطفل في سلة، وضعا معه ألف قطعة ذهبية ثم إتركاه أمام بوابة قصر الملك «سوريابرابها»!.. فلما إستيقظتا من نومهما أفضت كل منهما

بالحلم الذي رأته إلى الأخرى. فوضعتا ثقتهما في الرب وذهبتا بالطفل إلى قصر الملك، ثم تركتاه حيث أمرهما الإله!.

وفي ذات الوقت، ظهر الإله –وقد حمل بيرقا عليه شعار النور – في الحلم للملك «سوريابرابها»، قائلاً: «إستيقظ أيها الملك. إن طفلاً جميلاً قد ترك أمام قصرك، راقداً في سلة، ومعه بعض الذهب».. فلما إستيقظ الملك حمل إليه البوابون نبأ العثور على الطفل أمام القصر. وذهب الملك بنفسه ليتأكد من الأمر. فما أن وقع بصره على الطفل الجميل، وقد زينت يداه وقدماه بوشم المظلة والبيرق –مما يشهد بطيب منبته وكرم محتده– حتى تهلل طرباً وهتف قائلًا: «لقد من على الإله «سيفا» نفسه بابن ذكر!».

وأقيمت الإحتفالات الصاخبة، ووزعت الأموال على المحتاجين والمعوزين، حتى غدت كلمة الفقر غير ذات موضوع. وإستمر الغناء والرقص والموسيقى بفير إنقطاع مدة عشرة أيام. ولم يلبث الملك أن أطلق على الطفل اسم «كاندرابرابها».

ومرت السنون والطفل يترعرع في قصر الملك. وكانت وسامة محياه وحسن خصاله يزدادان يوماً بعد يوم. وينشران من حوله عبق السعادة والهناء، فيتنسم شذاه كل من يختلطون به، لاسيما أولئك الذين يتجهون إليه بمطالبهم.. وقد عرفه الناس شجاعاً، كريماً، حكيماً، ما أهله لإحتلال مكان أبيه، بعد وفاته، بجدارة.. وما لبث الملك أن تنازل له عن

العرش، مكرساً ما بقى من سنوات عمره للعبادة في جبال «البنارس».. فأمسك الملك الشاب بزمام الحكم، بينما إعتزل أبوه العالم لكي يؤدي طقوس العبادة والتصوف، حتى فاضت روحه!.

فلما علم الملك «كاندرابرابها» بوفاة أبيه حزن حزناً شديداً.. وما أن فرغ من مراسم الجنازة حتى نادي مستشاريه، وقال لهم: « كيف أستطيع أن أرد لأبي بعض الدين الذي طوق به عنقي؟.. لقد قررت أن أحمل عظامه إلى نهر «الجانجز»، لأطهرها بمائه المقدس، حسب الطقوس المرعية، ثم أذهب إلى إقليم «جايا» لأؤدي تقدمات الميت إلى أجداده. وسأنتهز هذه الفرصة فأحج إلى الشواطيء الشرقية القاصية!.

لكن مستشاريه إحتجوا عليه قائلين: «هذا عمل لايليق يك على الإطلاق، يا صاحب الجلالة. كيف تسمح لنفسك بأن تترك مملكتك المهددة بالأعداء من كل جانب بلا حراسة؟.

دع غيرك يذهب بالتقدمات. أما عن السفر، فهل ترى أن الحج أخطر شأناً من أداء واجباتك نحو الدولة؟.. وفضلًا عن ذلك ما الذي يدعوك إلى تعريض حياتك للأخطار، بالسفر في طريق مجهولة، بينما الحراس يحيطون بك من كل جانب في قصرك؟».

فأجاب الملك بقوله: «لاجدوى من الجدال. لقد إستقر عزمي على الذهاب من أجل أبي. وإذا توانيت الآن –وأنا في مقتبل العمر وريعان الشباب– عن الحج إلى الأراضي المقدسة، فمتى أفعل إذن؟..

من الذي يستطيع التنبؤ بما قد يحيق به –على حين غرة وبلا إنتظار– وهو في جسده الفاني؟ إنكم عبثاً تحاولون أن تثبطوا عزيمتي!.. كل ما أوصيكم به، هو أن تحرسوا المملكة وتنتظروا عودتي!»..

وكان اليوم الذي حدده الملك لرحيله مشرق الشمس سعيد الطالع. فما أن إستيقظ حتى إغتسل ثم قدم ذبائحه للنار، وبارك البرهميين، ثم إنطلق في عربته متدثراً بملابس الإحرام الناصعة البياض. وتبعه حشد كبير من الحرس والحاشية والفلاحين إلي حدود المملكة. وبعد أن ودع المودعين بدأ رحلته بصحبة كاهنه الخاص وعدد من البرهميين الذين تبعوه في عرباتهم. وكانت الرحلة حافلة بأسباب التسلية، فقد شاهد مدناً كثيرة لم يزرها من قبل، وإستمتع بمنظر الأزياء المتباينة، واللهجات المختلفة!..

وأخيراً وصل إلى نهر الجانجز، فاكتحلت عيناه بمرأى النهر المقدس، وقد بدت أمواجه وكأنها سلم متحرك يبلغ بالإنسان عنان السماء درجة بعد درجة!.. وكأن «جانجا» الألهة –التي برزت من وسط جبال الجليد– كانت تقلد معابثات «أمبيكا» الغرامية، وتداعب بأناملها الرقيقة خصلات شعر الإله «سيفا» الفاحمة السواد!.

وهبط الملك من عربته، وإغتسل في مياه النهر المقدسة متطهراً من أدرانه وخطاياه، ثم ألقى –في إحتفال مهيب– عظام أبيه في مياه النهر. وما أن فرغ من توزيع الصدقات على المحتاجين والقيام بمراسم

الجنازة، حتى إرتقى عربته ميمماً شطر إقليم «براجايا» الذي تغنت الألهة بقدسيته.

وهناك حيث تلتقي مياه نهري «الجانجز» و«جوما»، فيمتزج اللونان الأصفر والأزرق فيبدوان كالزبد حين يختلط بالدخان في لهيب النار، صام الملك عن الطعام، حتى إذا نال قسطاً من الراحة بعدما لقيه من عناء الرحلة، إغتسل وقدم عطاياه للكهنة والمعبد، ثم تابع رحلته إلى جبال «البنارس» التي بدت.. ومئات البيارق ترفرف، في فضائها فوق مئات المعابد –وكأنها تلوح للناس قائلة: «هلموا إلي لكي تنالوا الخلاص الأبدي!».

وهناك قضى الملك ثلاثة أيام صائماً عن الطعام، يتعبد للإله «سيفا». ثم عاد أدراجه إلى نهر «جايا» وإخترق في طريقه غابات زاخرة بالأشجار المثقلة بشتى أنواع الثمار الشهية، والطيور تشنف أذنيه بشدوها متغنية بمديحه، والريح تلقى بألاف الزهور تحت قدميه، تكريماً له. وعند ضفة نهر «الجاياسيراس» المقدس، قام بالمراسم النهائية للجنازة، حسب الطقوس المدونة في الكتب والأوراد، ووزع هدايا ثمينة على الكهنة الذين قاموا بتلك الطقوس. وأخيراً ذهب إلى الكهف المقدس ليلقي بتقدمة الموتى في النبع، ولكنه ماكاد يهم بإلقائها حتي برزت من الماء ثلاث

أياد بشرية، فتولته الحيرة، ولم يدر في أي يد يضع التقدمة!.

وقال له الكهنة: «ما من شك في أن إحدى هاته الأيدي هي يد لص، فإن آثار دق المسمار ظاهرة فيها، بما لا يدع مجالًا للشك في هذه الحقيقة. أما اليد الثانية التي تحمل بعض سيقان من نبات مقدس، فلابد أنها يد أحد البرهميين. وأما اليد الثالثة التي تبدو عليها الجلالة، والتي يلتف حول أحد أصابعها خاتم ملكي، فمن المؤكد أنها يد أحد الملوك. إلا أننا لا نعلم في أية يد يجدر بك أن تضع تقدمتك!».

***

ثم أنهى الشيطان المتربع على كتف الملك قصته قائلاً: «والآن، أخبرني يا صاحب الجلالة، في أية يد ينبغي أن توضع النقدية؟ وتذكر أن الشرط القديم لازال سارياً».

وكان الملك «تريفيكوأماسينا» خبيراً بنصوص القانون السائد في ذلك العصر، فلم يستغرق في التفكير طويلاً، بل قطع صمته قائلاً: «ينبغي أن توضع التقدمة في يد اللص، فهو –حسب القانون– الأب الشرعي للملك «كاندرابرابابها».. لأنه رغم أن البرهمي هو الأب الفعلي له، إلا أننا لا نستطيع إعتباره الأب الشرعي، إذ أنه باع أبوته بل الذي تقاضاه مقابل إنجابه. كما أنه كان بوسعنا أن ننسبه إلى الملك «سوريابرابها» –لأنه هو الذي كفله طفلاً، وأنفق على

تعليمه، وأغدق عليه حبه وحنانه –لو أنه لم ينفق –في سبيل تربيته وتعليمه– من المال الذي عثر عليه معه في السلة، ومن ثم فلا يسعنا إلا

أن ننسبه إلى اللص لأنه هو أبوه الشرعي، إذ هو الذي تزوج أمه بالماء المصبوب على كفيه، وهو الذي أصدر لزوجته أمراً بأن تنجب له طفلاً، وهو الذي دفع المال الذي صرف عليه.. وعلى ذلك فلا مناص من أن توضع التقدمة في يده هو!».

وما كاد الملك يغلق فمه حتى إختفى الشيطان مرة أخرى من فوق كتفيه، عائداً إلى مقره. وكما فعل الملك في المرات السالفة تبعه إلى هناك، وأنزله من شجرة «السيستو»، وفيما كان يسير –في صمت– حاملاً إياه فوق كتفيه، تحدث هذا إليه قائلاً: «لماذا تصر على عنادك ياصاحب الجلالة؟ لا يليق بك أن تسلمني إلى ذلك الراهب اللئيم. أترك هذا الأمر وأستمتع بملذات الليل. ولكن مادمت تصر على عزمك، فإليك قصة أخرى:

الضحية

«في ذات يوم منذ مئات السنينن، ما كان أحد الملوك ويدعى «كاندرافولاكا» يحكم مدينة إسمها «سيتراكوتا» –أو الرأس المتألقة– وكانت منيعة الحصون، فأرهب ذلك أعداءها، وجعلهم لايجرؤون على محاولة إجتياز حدودها. وكان ذلك الملك مرهوب الجانب –مما جعل رعاياه يشبهونه بالحظيرة التي تعجز أقوي الفيلة وأعتاها عن إقتحامها! – كريم الصفات، مما أكسبه محبة شعبه إلى درجة العبادة، قوي البنية، كريم النفس، كامل الصفات.. إلا أنه رغم أن الطبيعة حبته بغاية ما تشتهيه الأنفس، كان مشغول البال على الدوام بفكرة واحدة لا تنفك تضنيه وتقض مضجعه!.. ذلك أنه بالرغم مما كانت تحفل به مدينته من أجمل الفتيات وأعرقهن حسباً، لم يوفق في العثور على عروسى تناسبه.

وذات يوم شعر الملك بحاجة إلى الترويج عن ذهنه المكدود، فارتدي عباءة زرقاء موشاة بالذهب، وإمتطى صهوة جواد مطهم، وخرج تصحبه كوكبة من فرسانه إلى الغابة الشاسعة ليمارس هوايته المفضلة وهي الصيد!.. ولم يكن قد قطع مسافة طويلة في الغابة حين صادف قطيعاً من الخنازير البرية، فأمطرة وابلًا من سهامه وأسقط منه عدداً كبيراً. ثم رفع بصره نحو السماء فأبصر الشمس متدثرة بالفيوم، تكافح لتشق لنفسها ثغرة تنفذ من ثناياها!.

وقد أمده بمنظر الطبيعة الساحرة بقوة تضارع قوة اإله «آرجونا»، فإستدار يطارد قطيعاً آخر من الخراتيت يشبه في ضخامته كتل الجبال التي قص «أندرا» أجنحتها، وما لبث أن ألهبه حماس الصيد، فأحس برغبة جامحة في أن يتوغل في قلب الغابة بمفرده، ومن ثم وخز بمهمازه بطن

جواده الذي أهاجه وخز المهماز ولذعات السوط، فإنطلق راكضاً -بسرعة تفوق سرعة الصوت- غير عابىء بما يعترض طريقه من عقبات، حتى قطع في لحظات عشرة فراسخ في جوف الغابة!.

وأخيراً توقف الجواد، فترجل الملك وأمسك بلجامه وراح بهيم به -متمهلًا- في الأدغال على غير هدي. وفجأة لمح أمامه بحيرة كبيرة، يحيط بها عدد من أشجار اللوتس، تتمايل أغصانها مع النسيم الطيل، فخيل إليه أنها تشير إليه بأصابعها قائلة: «تعال، إقترب مني!»، فأطاع الملك نداءها، وإتجه إليها ثم خلع السرج عن الجواد، وأرقده على الأرض، ثم جاء من البحيرة ببعض الماء وسقاه ثم إغتسل بما تبقى منه. وأخيراً أصلح الملك من شأنه وتناول قدراً من الطعام وشرب من ماء البحيرة حتى إرتوى، ثم جاء ببعض الأعشاب الجافة، وإفترشها تحت ظل الأشجار. وراح يغمر المكان بنظراته متأملًا مناظر الطبيعة في شغف وإفتتان.

وفجأة لمح فتاة عذراء باهرة الجمال، تقف تحت شجرة ضخمة وقد إرتدت ثوباً متواضعاً أسود اللون مهلهلاً، ومقصت شعرها إلى الخلف في خصلة واحدة. ومع أن وجهها وثوبها كانا مجردين من أي أثر للزينة فان جمالها كان يبهر العين. وقد أدرك الملك من رقة حالها وتواضع ثيابها أنها إحدى الناسكات اللاتي إعتزلن العالم، هاربات من هوابات البشر!.

وكان الملك سريع التأثر بالجمال، وهدفا سهلاً لسهام إله الحب المصنوعة من أوراق الورد، فوقف يسائل نفسه قائلًا: «من عساها تكون؟ أتراها الحورية «سافيتيري» وقد جاءت لتستحم في البحيرة؟ أم هي الألهة البيضاء قد تصلحت بكل فتنتها لتسلطها على الإله «سيفا» كي تستعيد حبه، بعد أن سلاها وهجرها؟.. أم لعلها البدر المنير، وقد عاد بعد غيبة دامت نهاراً كاملًا؟ فلأقترب لأكتشف حقيقتها!».

أما الفتاة فما كادت تلمح الملك يتقدم نحوها حتى سقط من يدها إكليل الزهور الذي كانت تجدله، وتسمرت في مكانها، مبهورة الأنفاس، فاغرة الفم، تناجي نفسها قائلة: «رجل كهذا في الغابة؟ من تراه يكون؟ أهو إنس أم جن؟ ما أبدع طلعته وأروع محياه!.. إن بهاءه خليق بأن يبعث الغبطة والسرور في قلوب البشر جميعاً!»..

ومنعها حياؤها من أن ترفع بصرها إلى وجهه وكأنما كانت تخشى أن يغشى جماله عينيها، فوقفت والأفكار تضطرم بعنف في صدرها تخاله

نظرات خجلي، ثم لم تلبث أن أولته ظهرها، بيد أنها ما كادت تشرع في السير حتى تخاذلت ساقاها وتعثرت خطاها، وكأنما صارت قدماها كتلتين من خشب.

وسرعان مالحق الملك بها، وخاطبها بأسلوب مهذب، يفيض أدباً، قائلاً لها: «لست أطلب منك أن تغدقي مظاهر الترحيب على ضيف وافد من بلاد بعيدة، فقد أغناني جمالك عن هذا. ولكن هل تحتم عليكم تقاليد النساك الهروب من الضيوف؟».. فلم تجد الفتاة بداً من الجلوس على الأرض، والترحيب به كما جرى العرف إزاء الضيف. ولم يلبث الملك أن سأل الفتاة التي عشقها من أول نظرة قائلاً: «أي عائلة سعيدة الطالع تلك التي تباركت بإنتسابك إليها؟.. وما اسمك؟ لابد أنه يشبه في وقعه على الآذان مذاق خمر الآلهة! ما الذي يدعوك إلى إساءة معاملة الزهور، إذ تسجنينها داخل أسوار الدير، بعيداً عن العالم؟».

فأجابته الفاتنة بقولها: «إنني «أنديفارابرابها».. أي بهاء اللوتس، وقد أذن لي أبي اليوم أن أجيء إلى البحيرة كي أغتسل. وأبي هو الناسك العظيم «كانفا»، وقد عشت –منذ أن ولدت في صومعة أبي التي تقع في مكان قريب من هنا!».. وعلى الفور إمتطى الملك صهوة جواده، ميمماً صوب صومعة الناسك «كانفاه» ليطلب منه يد ابنته، فلما دخل الصومعة وجد الناسك متألقاً وسط مريديه وحوارييه، كأنه القمر وهم النجوم يحيطون به من كل جانب، مصغين في أناة إلى مواعظه وتعاليمه!.

وبعد أن قدمت للملك واجبات الضيافة، ونال قسطاً من الراحة، خاطبه الناسك قائلاً: «إصغ إلى ما سأقوله لك يا بني، فهو لخيرك وفائدتك. إنك تعرف ما تقاسيه حيوانات الغابة من فزع من الموت. فأية لذة تجدها –إذن– في قتل هذه الحيوانات البائسة، التي لم تناصبك العداء؟.. لقد جعل السيف المقاتل كي يذود به عن نفسه –وعن غيره– حين يتعرضون للخطر. فأولى بك –يا بني– أن ترعى القانون، وتستخدم سلاحك في حماية رعاياك. تمتع بمباهج ملكك، وأعط بسخاء، ودع رعاياك يثنون على عدالتك، وأمسك عن هذا الثيد الإجرامي، الذي هو بمثابة مداعبة الموت، والذي يتساوى فيه الصاد والفريسة، لأنهما كلاهما سواء في الوحشية والعدوان!».

فنزلت نصائح الناسك وعظاته على أرض خصبة، وسرعان ما أتت ثمارها. وقد تقبلها الملك «كاندرافالوكا» بإمتنان وعرفان بالجميل، وأجاب قائلاً: «لقد تبت وإهتديت على يديك يا

سيدي المحترم. ولن أنسى معروفك هذا ما حييت. منذ اللحظة سأتوقف نهائياً من الصيد!»، فقال له الناسك: «نعم ما قررت يا بني. وإنني لأقدر شهامتك وفضيلتك، فإطلب مني ما تشاء!».

وقد أدرك الملك أن اللحظة مناسبة لطلب ما يشتهيه فؤاده، فبادر الناسك بقوله: «إذا تفضلت، هب لي ابنتك «بهاء اللوتس» لتكون زوجتي!»، فوافق الناسك على الفور.

وفي هذه اللحظة عادت ابنة الناسك –بعد أن إستمتعت بحمامها– فأنهى إليها أبوها نبأ خطبتها، ثم قام بنفسه بتزويجها من الملك المفتون. وقامت رفيقات العروس من الناسكات بتزينها، ثم تبعتها إلى حدود الدير والدموع تتقاطر من عيونهن!.

وإنطلق الملك على صهوة جواده محتضناً عروسه. وفيما هو يخترق أحراش الغابة لمح شجرة تنتصب على ضفاف بحيرة صافيه صفاء قلب الإنسان الفاضل، وشاهد تحت الشجرة كهفاً مظلماً غطت أوراق الأشجار مدخله، فلم يجد أفضل من هذا المكان ليقضي فيه ليلته، ومن ثم نزل عن جواده وجلس مع عروسه يستروحان النسيم العليل الذي يهب من البحيرة. وأخيراً أعدا فراشاً من الزهور داخل الكهف ثم ولجا مخدعهما آمنين!.

وفي تلك اللحظة رفع القمر عن وجهه نقاب الظلام وطبع قبلة على جبين الشرق الوضاح، وإرتمت طبقات السماء في أحضان أشعة القمر التي تسللت خلال أوراق الشجر، فألقت على الأرض ضوءاً متألقاً يشبه النسيج الموشي باللآليء، بينما كان الملك يقضي مع عروسه ليلة خالدة، حافلة بأسباب المتعة والهناء!.

ونهض الملك من فراشه عند الفجر، وما أن فرغ من صلاة الشروق، حتى خرج مع عروسه ليلحقا بكوكبة الفرسان التي سبقتهما

لتمهد لهما الطريق. وكانت الشمس قد صوبت شواظاً من سهامها النارية لتغمدها في صدر أمير الليل الذى أسرع يختفي بين شقوق الجبال.

بيد أنهما ماكادا يشرعان في السير، حتى هبط عليهما –على غرة– مارد من سلالة البرهميين، أسود البشرة، فاحم الشعر، يحيط رقبته بعقد مصنوع من الأمعاء، ويرتدى ثوباً منسوجاً من شعر الإنسان المجدول. وكان يلتهم قطعاً من اللحم البشري، ويحتسي جرعات من الدم في إناء مصنوع من جمجمة إنسان!.. ومالبث المارد ان اطلق قهقهات مدوية مجنونة، ثم تجشأ دماً من فمه الشبه بكهف رهيب، والمفروسة فيه أسنان من أنياب الفيل!.

وقال المارد للملك: «أيها اللئيم. إذا كنت لا تعلم من أنا، فأعلم أني المارد «باصق اللهب»، من سلالة البرهميين. وهذا الكهف مأواي، والآلهة ذاتها لاتجرؤ على إنتهاك حرمته!.. ناهيك وقد تخطيت أنت حدوده ودنسته بمخالطتك إحدى النساء فيه!.. لقد عدت في الوقت المناسب، كي أضبطك متلبساً بجرمك، ولكي أعاقبك على الجريمة التي إقترفتها. سأنتزع منك قلبك –أيها المجرم صريع العشق والهيام – وسأشرب من دمك!».

فلما سمع الملك تلك التهديدات طار لبه شعاعاً من قوط الجزع، إذ لاح له المارد ذا قوة جثمانية ليس بوسعه التغلب عليها، فخاطبه بمذلة وخشوع، قائلاً: «عفوك يا سيدي ورحماك. فقد إرتكبت هذه

الجريمة دون ما قصد. وأنا على إستعداد لأن أقدم لك الترضية اللازمة، فإذا ما صفحت عن ذنبي، وعاملتني معاملة الضيف الذي يلجأ إلى دارك، فسأكون طوع أمرك، أنفذ كل ما تأمر به.. فقط إرفع عني غضبك!».

فحدث المارد نفسه قائلاً: «وما المانع؟.. ليس ثمة ضرر من ذلك» ثم إستدار إلى الملك قائلًا بصوت مسموع: «لابأس.. أصفح عن ذنبك. بيد أنني أعلق هذا الصفح على شرط أن يحضر لي في ظرف سبعة أيام طفل في السابعة من عمره، ابن رجل برهمي، مقدماً نفسه طواعية ليفتديك بحياته، وأن يشده أبوه وأمه –بأيديهما– إلى الأرض، لتذبحه بسيفك ذبحاً!.. فإذا أخللت بهذا الشرط سأحطمك تحطيماً، أنت وكل ما ملكت يداك!».

وكان الملك في حالة مروعة من الفزع والخوف، فلم يجد بداً من الوعد بتنفيذ كل طلباته. وعلى الفور إختفى المارد عن ناظريه، فإمتطى الملك وعروسه صهوة جواديهما، وسارا الملحقا بالقافلة، وهما في حالة من البؤس والشقاء تجل عن الوصف، حتى إذا وصلا إلى مدينة «شيبيراكيتا» وجدا سكان المدينة قد علقوا الزنات وأقاموا المهرجانات إحتفالًا بزفافه الميمون، فإضطر إلى إخفاء همه في قلبه طول اليوم.

بيد أنه عقد في اليوم التالي –إجتماعاً سرياً مع مستشاريه، سرد عليهم فيه تفاصيل الكارثة التي ألمت به والتي غدت مصدر خطر على

حياته. وكان من أولئك المستشارين رجل عرف بالحكمة وسرعة البديهة، وقد قال للملك: «لا تستسلم لليأس باصاحب الجلالة. فإني أعدك

بأنني لن ألبث أن أعثر لك على الضحية المناسبة وسأحضرها لك بنفسي، فإن الأرض مليئة بالمعجزات!».

وما أن خرج المستشار الحكيم من الإجتماع، حتى أصدر أمراً بأن يصاغ تمثال من الذهب لطفل في السابعة من عمره، وبأن تزين أذنا التمثال بقرطين من الجواهر الثمينة، وأن يوضع التمثال فوق عربة تسير في جميع أرجاء المدينة، وباقي القرى والكفور، يتقدمها مناد يدق الطبول صائحاً: «يا أهل المدينة. هل من بينكم طفل في السابعة من عمره، مستعد أن يضحي بنفسه –نداء لوطنه ومليكه– بأن يلتهمه مارد شرير، بشرط أن يوافق أبواه على هذا التطوع، وأن يقبلا أن يشداه –بأيديهما– إلى الأرض أثناء ذبحه؟ إذا كان هنالك مثل هذا الطفل، فليتقدم إلى الملك، وسيهدي الملك التمثال الذهبي الموشي بالجواهر الكريمة ووثيقة ولاية مائة قرية إلى والديه، تعويضاً لهما عن خسارتهما!».

* * *

وكان يعيش في حي البرهميين، فتى في السابعة من عمره، يتمتع بنضوج عقلي مبكر، ووسامة تقاطيع.. وقد تصادف أن سمع الفتى نداء المنادي، فأوحت إليه العادات –التي رسخت فيه منذ أن كان يعيش حياته السابقة– بحمية وحماسة متدفقتين لأن يصنع الخير لإخوانه من

بني البشر، فاتجه إلى المنادي قائلاً: «إنني على إستعداد لأن أضحي بحياتي من أجل وطني. ولكن يجب أن أذهب أولًا إلى أبي لأنهي إليه ما استقر عليه عزمي!»، فكاد المنادي يطير فرحاً، وأذن له بالذهاب إلى منزله. وهناك وقف أمام والديه وقفة خشوع، وضم يديه إلى صدره يناشدهما قائلاً: إنني مشتاق لأن أضحي بجسدي الفاني لخير البشرية. لذلك جئت طامعاً في موافقتكما على هذا الأمر، وسيكون لكما عزاء في صورة مني منحوتة من الذهب الخالص والجواهر النفيسة، فضلًا عن ولاية مائة قرية. وبوسعكما إذا ما تخلصتما من الفقر –إلى غير رجعة– أن تنجبا الوفير من الأبناء عوضاً عني!».

بيد أن أبواه زجراه قائلين بعنف: «ماذا حدث لعقلك يابني؟ ماذا تقول؟.. هل مستك الريح أم لعله الشيطان قد سكن جسدك؟.. من من الآباء يقبل أن يذبح ابنه لقاء مبلغ من المال؟ وأي ابن هذا الذي يتطوع لأن يقتل؟»، لكن الفتى أجابهما قائلاً: كلا. لست مجنوناً أهذى، إنني أتوسل إليكما أن تصغيا إلى ما سأقوله لكما وأن تتمعنا في دلالته. إن هذا الجسد الفاني المحتقر منذ ولادته، والمليء بالدنس والأدران، لن يلبث أن يدب فيه الفساد. وقد أوحى ما قد نجنيه من فائدة –عن طريق هذا الجسد– إلى الحكماء أن يطلقوا عليه «سر الوجود»!.. وهل هناك فائدة أجل من المساهمة في خدمة البشرية؟.. بيد أن هذا لم ينسني أنه ما إستحق أن يولد من تجرد قلبه من حب أبويه ومراعاة إحساسهما. لذلك جئت إليكما ألتمس رضاءكما!».

وكانت كلمات الفتى تنضح عزماً وتصميماً حتى لقد اقنعت الوالدين بالإنصياع –على كره منهما– إلى مشيئة ابنهما، وهرع الفتي راكضاً –يتبعه أبواه– إلى المنادي، وتسلم منه التمثال الذهبي ووثيقة ولاية مائة قرية وسلمها جميعاً إلي أبيه، ثم وضع نفسه تحت تصرف رجال الحاشية الذين قادوه في موكب عظيم إلى قصر الملك. وقد إمتلأ الملك غبطة لعثوره على هذا الفتى الصادق العزم، وكأنما قد عثر على تميمة نادرة!.. وما لبث الملك أن أركب الفتى فيله الخاص، مكلل الرأس بالغار، ومعطر الثياب بأغلى ألوان العطور المتضوعة، ثم قاد الفيل بنفسه –يتبعه والد الفتى– إلى الغابة!.

وفي المكان الذي إلتقى فيه الملك بالمارد، رأى دائرة سحرية مرسومة على الأرض بجوار شجرة «الأزفاتا»، وهنالك قام كاهن القصر الملكي بالمراسم اللازمة ثم قدم الذبائح والقرابين إلى إله النار. فما كاد يفرغ من ذلك حتى ظهر المارد، قاذف اللهب، وهو يطلق ضحكة مدوية إرتج لها المكان إرتجاجاً، وراح يقرأ أوراداً من كتاب «الفيدا» وهو بينذاك يتمطى ويتجشأ –بلا توقف– ومقلتاه المحتقنتان تدوران في محجريهما، وقد ألقى شبحه الرهيب ظلًا قاتماً فوق الجميع!.

وعندئذ خر الملك على ركبتيه أمام المارد، قائلًا: «ها قد أنجزت وعدي، وأحضرت لك –حسب طلبك– ضحية آدمية، قبل أن ينقضي اليوم السابع. فأشفق على عبدك واقبل منه تضحيته بما يليق بها من

إحترام وتبجيل!». فنظر المارد إلى الفتي البرهمي، وهو يتلمظ ويلعق قطرة من الدم إنسابت من بين شفتيه!.

وأغمض الفتي القداس عينيه وراح يهتف في سريرته قائلاً: « أيها الإله كريشنا. إنني لا أطلب منك أن تجعل الجنة مثواي، حيث لا مكان لخدمة الآخرين، بل –على العكس– أن تبعثني من جديد –مرة تلو المرة– في جسد آدمي، أستطيع بواسطته أن أقدم خدمات جليلة للغيري من بني البشر!!».

وفيما هو يعبر عن نواياه الطيبة، إكتظت السماء بعربات روحانية يقودها حشد من الآلهة، لم يلبثوا أن أمطروه بوابل من الأزهار اليانعة. وعندئذ، اقتيد الفتى أمام المارد، وأمسكت أمه بيديه، بينما شد أبوه ساقيه، وشهر الملك سيفه ليذبحه!.. لكن الذهول والدهشة إستوليا فجاة على الجميع، إذ إنفجر الفتى ضاحكاً. فوقفوا جميماً –بما فيهم المارد– فاغري الأفواه، معقودي الأذرع لا يحيرون حراكاً!».

وبعد أن فرغ الشيطان من سرد هذ القصة اللطيفة، التي تثقف العقول، قال للملك «تريفيكراماسينا»: «أخبرني –أيها الملك– لماذا ضحك الفتى في تلك اللحظة.. لحظة موته؟.. إن هذا السؤال يحيرني، فلا أجد له جواباً، فإذا كنت تعرف الحل الصحيح وترفض الإفصاح عنه، فإن رأسك سيتفتت إلى مائة قطعة!».

فأجاب الملك قائلاً: «إليك ما كان يدور بخلد الفتى حين ضحك: إن الشخص الضعيف يلجأ عادة –إذا ما نزلت به نازلة– إلى الإستنجاد

بأبيه وأمه. فإذا كان يتيماً فإنه يلتجيء إلى الملك مناشداً إياه الغوث والمعونة. فإذا لم يجد الملك فإنه يستنجد بمن تربطه به رابطة القربى. وفي حالة فتاناً هذا كان جميع هؤلاء يحيطون به، بيد أنهم كانوا يقفون منه موقفاً شاذاً!. فها هما والداه يشدانه إلى الأرض ممسكين بيديه وساقيه، طمعاً في ما نالاه من مال. وها هو ذا الملك يشهر سيفه ليذبحه أملًا في إنقاذ عنقه.. أما أقرب الناس إليه بعدهم، فقد كان المارد –سليل البرهمين– الذي شرع في إلتهامه.. لقد خامرته سخرية لاذعة حين أدرك مدى خديعة البشر في قيمة أجسادهم الفانية، حتى ليلجأون إلى كل السبل لحمايتها والإبقاء عليها، بينما كتب على الجميع –بما فيهم الآلهة براهما، وأندرا، وسيفا، وفيشنو –أن يلاقوا الموت إن آجلاً أو عاجلاً، برغم مباهاتهم بما توهموه من أنهم خالدون. فما نفذ الفني ببصيرته الحادة إلى هذه الحقيقة الرائعة حتى إنفجر ضاحكاً، ساخراً من الناس، مطمئناً إلى مصيره الهانيء السعيد!!».

وأمسك الملك عن الكلام، فإختفى الشيطان مرة أخرى عن كتفه، عائداً –بقوة السحر– إلى مأواه. ولم يتردد الملك، بل هرع مقتفياً أثره من جديد، لأن الرجل العظيم حقاً هو من أوتي قلباً ثابت الجنان، لا ييأس أمام ألاعيب الشيطان. ومن ثم أنزله من الشجرة ثم حمله فوق كتفه. وفي الطريق، خاطبه الشيطان قائلاً: «إنك رجل طيب القلب يا صاحب الجلالة.. بل إنك لرجل عظيم. ولذلك فإنني أسوق إليك هذه القصة العجيبة:

أربعة صنعوا أسداً

«منذ آلاف السنين كان أحد الملوك ويدعى «دهارانيفاها» – يجلس على عرش دولة الأزهار. وفي إحدى مقاطعات دولته واسمها «ابراهماستالا»، عاش برهمي يدعى «فيشنوسفامين». وكان لذلك البرهمي زوجة تتفق معه في كل صفاته، كما تتفق إبتهالات «سفاها» [٦] مع نار الذبيحة!.. وقد رزق الزوجان بأربعة أبناء، تدرجوا في التعليم، حتى إذا ما إنتهوا من دراسة علم «الفيدا»، وقد بلغوا طور الرجولة، رحل أبوهم «فيشسنوسفامين» إلى السماء، ثم لحقت به زوجته، تاركين خلفهما أبناءهما دون أي خبرة في الحياة، وقد كانوا على درجة كبيرة من البساطة والسذاجة، ومن ثم لم يكن من المستغرب أن يقعوا ضحية غفلتهم وأن ينهب أقاربهم كل ميراثهم!.

وقد إجتمعوا سوياً –ذات مرة– ليتشاوروا بشأن ما وصل إليه حالهم، فاستقر رأيهم على أنه لم يعد بوسعهم المكوث في بلدتهم، وأنه من الأفضل لهم أن يولوا وجوههم صوب قرية «ياجناسهالا»، حيث ينزلون في ضيافة جدهم لأمهم.. وبالفعل، ما أن أشرقت شمس الصباح حتى حملوا متاعهم وشدوا رحالهم إلى تلك القرية. وبعد أن ساروا أياماً طويلة –كانوا خلالها يتسولون طعامهم من عابري السبيل– وصلوا إلى

(٦)إحدى الإبتهالات التي كانت تصاحب تقديم النذور في الإحتفالات الفخمة التي يقيمها البرهميون.

منزل جدهم، بيد أنهم بوغتوا بأن جدهم هذا قد مات، وأن أولاد خالهم قد إستولوا على منزله.. وقد أكرم أولاد الخال في أول الأمر وفادتهم، فقبع الأولاد الأربعة في المنزل، مستمتعين بأطايب الطعام ولذيذ الشراب.

ولكن الشهور مضت، ولم يبد على أولئك أن في نيتهم العمل لكسب قوتهم، وكأنما إستمرأوا حياة الدعة والكسل، فلم يلبث أقاربهم أن ضاقوا ذرعاً بهم، وتغيرت معاملتهم لهم وصاروا يوجهون إليهم قارص اللوم ولاذع الكلم. وعندئذ سرى القلق والإضطراب إلى صدور الأخوة الأربعة، فعقدوا –فيما بينهم– إجتماعاً ناقشوا فيه حالهم. فقال الأخ الأكبر: «ماذا نستطيع أن نفعل يا أخوتي؟ إن الإنسان –في هذه الدنيا– مسير لا مخير، وكلمة القدر هي العليا، فليس للمرء حيلة في أي شيء. ومثال ذلك أنني بينما كنت أتجول اليوم قانطاً، على غير هدى، قادتني قدماي إلى أرض محرقة، وهناك وقت عيناي على جثة منتنة، فقلت لنفسي: «ما أسعد هذا الرجل!.. لقد ألقى عن كتفيه ثقل الهموم والأحزان فإستراح!».. وفي هذه اللحظة خطرت بذهني فكرة الإنتحار، فشرعت على الفور في تنفيذها، وربطت حبلاً بأحد الأشجار، ثم لففت عقدته حول عنقي، ولم ألبث أن رحت أتأرجح في الهواء. ولكنني، قبل أن تفارق الروح جسدي، إنقطع الحبل فسقطت على الأرض فاقد الوعي. حتى إذا أفقت رأيت رجلًا يرطب جبيني بقطنة مبللة من النسيج. فما رآنى أفتح عيني حتى قال لي: «لماذا تفقد الأمل ياصديقي؟ ألا تعلم أن الشؤم من التشاؤم ، وأن الحياة لا تبتسم إلا للمتفائلين، بينما تولى

ظهرها الذين لا يولونها ثقتهم إليك نصيحة لا تخيب أبداً: إذا ألمت بك كارثة فإصنع لغيرك خيراً، وعندئذ سترى أبواب السعادة قد فتحت لك ذراعيها. فهل تطيعني في ذلك؟ أم لعلك مشتاق لأن تتلظى بسمير النار، التي لابد أن تتردى في جحيمها، إذا إرتكبت جريمة الإنتحار؟!».

«ولم يتركي الرجل إلا بعد أن تأكد من أنني قد أقصيت عن ذهني فكرة الإنتحار تماماً، فعدت إلى المنزل.. ذاك لأن القدر إذا عاند إنساناً، فليس بوسعه أن يحقق شيئاً، حتى ولا التخلص من الحياة!.. وهكذا لم يعد أمامي بصيص من الأمل. فعزمت على التوجه إلى الأراضي المقدسة كي أحرق هناك نفسي بنار الندم والتوبة، ناسياً ما أنا فيه من فقر ومسغبة!».

وإذ ذاك هتف أخوته قائلين: «ولكن، لماذا نقاسي آلام الفقر وقد أوتينا عقلًا نفكر به؟ ألا تعلم أن الثراء ليس إلا حالة طارئة، وأنه سريعاً ما يزول كما تزول سحب الخريف؟ إنه مثل الزوجة الخائنة، والخليلة اللعوب، والصديق غير الوفي، فقد يمكنك أن تستحوذ على ولائهم فترة من الزمن، لكنهم لن يلبثوا أن يقلبوا لك ظهر المجن! والرجل الذكي هو الذي يستخدم عقله في إتقان علم خاص، يستخدمه في إستعادة ثروته أو عشيقت، إذا ما شعر بحنين إلى أي منهما!»، فقال الأخ الأكبر: «ولكن، ما هو العلم الذي يستطيع المرء أن يتقنه؟».

فراحوا جميعاً يقدحون زناد فكرهم، حتى إهتدوا إلى فكرة لابأس بها: وهي أن يتجولوا في أرجاء الأرض، ليكتشف كل منهم الفن الذي يناسبه، ثم إتفقوا على مكان اللقاء، بعد زمن معين. وأخيراً إفترقوا وقد ولى كل منهم وجهه شطر جهة من الجهات. ومرت ستان إلتقوا بعدهما في المكان الذي سبق لهم أن إتفقوا عليه. وراح كل منهم يسأل الأخر عن الفن الذي أتقنه!.

فقال الأول: «لقد توصلت إلى علم أستطيع بواسطته -إذا ما وقعت في يدي قطعة من عظام أي نوع من الحيوانات- أن أغطيها باللحم»، وقال الثاني: «وأنا قد تعلمت كيف أغطي تلك العظمة ذات اللحم بالجلد والشعر»، وقال الثالث: «وأنا بوسعي أن أكمل هذه العظمة فأجعل منها جسم حيوان»، وقال الرابع: «أما أنا فأستطيع أن أنفخ الروح في هذا الجسم!».

ورغب كل من الأخوة الأربعة في إستعراض علمه، فتوغلوا في الغابة باحثين عن قطعة من العظم. وقد شاء القدر أن تكون قطعة العظم التي عثروا عليها هي ما تبقى من أسد نفق من فرط الشيخوخة. فإلتقطوها دون أن يعرفوا ذلك. وكساها أولهم باللحم، ثم كساها الثاني بالجلد والشعر، ثم غرس فيها الثالث الرأس والأطراف، ثم نفخ الرابع فيها الحياة. فإنتصب الأسد على أقدامه فاغراً فمه الرهيب، مكشراً عن أنيابه الفظيعة المتعطشة للدماء، ولم يلبث أن أبرز مخالبه الرهيبة وإنقض على خالقه، فقضى عليهم جميعاً!.

وهكذا لقى البرهميون الأربعة حتفهم. لأنه من ذا الذي يجد سعادة في أن يخلق شيئاً شريراً؟ ومن ثم ن العلم الذي نبذل في سبيله عرقاً غزيراً قد يصبح شيئاً عديم الجدوى، بل وفي معظم الأحيان أداة للتهلكة! فما لم تكن جذوره غائرة في باطن الأرض، وتروى بماء الذكاء، وتحاط بخندق الحكمة والفراسة، لن تحمل شجرة الجهد البشري أية ثمرة!».

***

وسأل الشيطان الملك قائلاً: «من من أولئك الأخوة يقع عليه الوزر الأكبر في خلق ذلك الأسد الذي أودى بحياتهم؟.. تذكر أن الشرط القديم مازال قائماً». وعندئذ حدد الملك نفسه قائلًا: «إن الشيطان سيختفي –مرة أخرى– بمجرد إنتهائي من حل هذا اللغز. ليكن، وليفعل ما يشاء، فلن يعجزني أن أقتنصه من جديد!».

ثم أجاب الشيطان قائلاً: «إن الشخص الوحيد الذي يقع عليه اللوم هو ذلك الذي بعث في الأسد الحياة. أما الآخرون فمن السهل أن نلتمس لهم العذر، لأنهم عندما مارسوا فنونهم، لم يكن بوسعهم التكهن بنوع هذا الحيوان. أما الأخير فقد شاهد هيكل الأسد كاملاً أمام عينيه، ومع ذلك نفخ فيه الحياة، لمجرد التباهي بفنه، والرغبة في إستعراض مهارته. ومن ثم فإن جريمة قتل الأربعة تقع على عائقه!».

وما أن سمع الشيطان الماكر جواب الملك حتى طار عن كتفه، عائداً -مرة أخرى- إلي «شجرة السيستو» فسعى الملك «تريفيكراماسينا» خلفه، ثم حمله على كتفه، متحدياً جميع الألاعيب والخدع التي إستعان بها الساحر. وفي أثناء الطريق قال له الشيطان: «إن مثابرتك في السعي وراء المستحيل، تجعل من العسير على المرء أن يقهرك. ومع ذلك فسأقص على مسامعك قصة مشوقة. أنصت:

عودة الناسك إلى شبابه

«تقع ولاية «كالينجا» في الشمال الشرقي من الهند، وعاصمتها «سوبهافاتي». وكانت تلك المدينة –في سالف العصر– تمتاز بجمال مبانيها وثراء سكانها. وكانت مثل عاصمة ملك الإله «أندرا» في السماء لا تأوي بين أسوارها سوى أتقياء الناس. وزاد من البركات التي حبتها الآلهة بها أن تولى حكمها الملك «براديومنا» الذي كان يتمتع بخصال جليلة، فلم يلبث صيته أن ذاع، وأصبح اسمه ملء الأسماع وصار الناس –إذ يرونه– يذكرون على الفور عظمة وعدالة وقوة بأس جده الأكبر الملك «براديومنا!».

وكانت الضرائب لاتجمع في مملكته إلا بالمحبة والرضا، ولا يقدر المستقيم معوجاً إلا عند الإنحناء، ولا يحس أحد بلذعة إلا لذعة الفكاهة والنكات!.

وقد خصص الملك حياً من المدينة لسكني البرهميين، وكان كل منهم يملك في هذا الحي قطعة من الأرض، يتصرف فيها كيفما يحلو له. وكان يعيش في ذلك الحي البرهمي «ياجنوساما». وكان مشهوداً له بغزارة المعرفة وسعة الإطلاع، كما أنه تفقه في علم الغيدا». وكان «ياجنوساما»

يفني الجزء الأكبر من ثروته في ذبائح التقدمات، كما كان يعتبر للآلهة الحق الذي للضيف في أثمن ما يقتنيه. وعاش هكذا متمتعاً بإحترام الجميع. حتى إذا ما بلغ من العمر أرذله، إستجابت الآلهة لصلواته ودعواته التي عاش عمره يرددها، فأنجبت له زوجته ابناً ذكراً، إحتفل الكهنة بمولده إحتفالًا مهيباً، وأطلقوا عليه اسم «ديفاسوما».. ذلك لأنهم توسموا فيه دلائل العظمة والخلود!.

وترعرع الابن في كنف ابيه –ستة عشرة عاماً– إغترف خلالها من كنوز العلم والمعرفة. ولكن الصبي لم يلبث أن أصابته كمى قاتلة فقضى نحبه. إلا أن أباه وامه –الذين كانا يحبانه إلى درجة العبادة– رفضاً تسليم جثته إلى اللحادين ليقوموا بحرقها، بل أبقياها بالمنزل لا يكلان من إحتضانها!.

وذهب وفد من سكان المدينة إلى البرهمي العجوز، وقالوا له: «أيها البرهمي. يا من بلغت أرفع مراتب الحكمة. ألا تعرف زيف هذه الصورة التي ندعوها بالحياة؟ إن ملوك الأرض الذين حشدوا أقوى الجيوش، وأوفرها عدة وعدداً، والذين أحاطوا نفسهم بأجمل المحظيات، وتوسدوا الحشايا المزينة بأغلى الجواهر، وشفوا آذانهم بأعذب الألحان.. أولئك الذين كانوا يعدون أنفسهم آلهة على الأرض، لم ينج أحدهم عن مصيره المحتوم، وإستقرت أجسادهم في النهاية –واحداً بعد الآخر– فوق أرض المحرقة، تتردد من حولهم ولولة أقاربهم ورعاياهم.

ومع ذلك لا يجدر بأحد أن يحزن على موتهم. فكيف إذن يحق لنا أن ننوح على غيرهم؟».

هكذا راح شيوخ البرهميين يتوسلون إليه محاولين أن يقنعوه بالإفراج عن جثة ابنه، حتى إنصاع أخيراً لتوسلاتهم. وعندئذ أقام أهل المدينة مراسم الموت، وحمل أقارب البرهمي جثمان الصبي إلى أرض المحرقة، ينبعهم حشد لا حصر له من الناس يذرفون الدموع الساخنة!.

وكان ناسك كهل قد إتخذ من أرض المحرقة هذه مأوى له، وقد إنزوى فيها داخل كهف صغير، وكان ثقل السنوات الطويلة وما لقي من مصائب الحياة قد قصمت ظهره، فهزل جسده، حتى بدا كأنه تجرد من اللحم، ولم تبق غير شرايينه تشد عظامه وتحول دون إنهياره!.. وكان هذا الناسك الذي يدعى «ياساميفا» شاحب اللون، تكسو جسده ذرات الرماد المتخلفة من الجثث المحترقة، ويعلو هامته تاج من الشعر الأصفر اللون كالشفق.. فكان يبدو صورة حية للإله «سيفا»!.

وكان لذلك الناسك تلميذ يلازمه على الدوام، ويعيش على التسول من أهل الخير، وكان ذلك التلميذ يتصف بالغباء والخبث والغرور، ولا يمل الشكوى من الجهد المضني الذي بذله في أداء مهنته!.

وقد بلغت أصوات النواح والعويل، الصادرة من مشيعي جنازة ابن البرهمي الحكيم، إلى مسامع الناسك القابع في كهفه، فقال لتلميذه: «إذهب وتبين مصدر هذه الأصوات المزعجة التي تصم الأذان والتي لم

أسمع لها مثيلًا من قبل!»، فأجابه التلميذ قائلاً: «ولماذا لا تذهب لتتبين ذلك بنفسك؟ لقد إنقضى موعد تسولي!»، فإستشاط الناسك غضباً وصاح به: «ويل لك أيها الأحمق، الذي لا هم له سوى حشو بطنه، هل إنقضى موعد تسولك ولم يمض على غروب الشمس سوى ساعتان؟». بيد أن الفتى لم يرتدع، وإنما واصل سبابه قائلاً: عليك اللعنة أبها الخرقة البالية من العظام المنتنة! من الساعة لست تلميذك ولست معلمي. إنني سأرحل بعيداً، تاركاً إياك لتتسول لقمتك بنفسك!!».

ثم إنصرف تاركاً للناسك عدة التسول: وهي السلة والعكاز، فلم يجد الناسك بداً من الخروج إلى المكان الذي خصص لحرق جثة البرهمي الشاب، وما وقع بصره على تلك الجثة الغضة، لفتى لم يكد يبلغ سن المراهقة، حتى قرر أن يعيش ما تبقى من حياته في ذلك الجسد.

وعلى الفور شرع في تنفيذ خطته، فإختار لنفسه بقعة منعزله، ليطبق فيها ما تعلمه من أسرار علم «اليوجا».. وهناك أخذ يبكي بحرقة، ثم لم يلبث أن كف عن البكاء ليرقص رقصاً عنيفاً، بخطوات سريعة سرعة البرق، فلم يمض وقت طويل حتى إنتقلت روح الناسك الكهل -المنحرق شوقاً إلى الشباب- من جسده الهامد إلى جسد الفتي النضير. ولم يلبث الفتى أن فتح عينيه ثم نهض جالساً وهو يتثاءب!.

ولما شاهد الحشد الحزين الفتى وقد ردت إليه الحياة هتفوا قائلين: «لتتبارك الآلهة! إنه حي! إنه حي!»..

وتوجهوا إليه يسألونه عن سر المعجزة التي حدثت له، فرفض الناسك المتبحر في علم «اليوجا» أن يبوح لهم بالسر، وفضل أن يختلق لهم قصة خيالية، فقال لهم: «لقد مت وإنطلقت روحي إلى الإله «سيفا». بيد أنه سمح لي بالعودة إلى الحياة، على شريطة أن اعتزل العالم لأكرس حياتي للعلم والمعرفة. لذلك أرجو أن تتركوني بمفردي، كي أتفرغ للمهمة التي ألقيت على عاتقي!».

وهكذا تخلص الناسك من أقارب الفتى الذين غادروا المكان تتنازعهم عاطفتان متضاربتان: الفرح لعودته إلى الحياة والحزن لحرمانهم منه. أما الناسك الذي عاد إلى شبابه فقد رحل إلى مملكة أخرى، ليعاود دراسته وتأملاته!».

***

وعندما فرغ الشيطان من سرد قصته، سأل الملك «تريفيكراماسينا» قائلاً: «أخبرني أيها الملك، لماذا بكى الناسك العجوز في باديء الأمر، ثم رقص رقصاً عنيفاً، وهو يؤدي الطقوس لنقل روحه من جسده القديم إلى جسد الفتى؟ إنني مشوق لمعرفة السبب!».

وخاف الملك أن تصيبه لعنة الشيطان، فأجابه قائلاً: «لقد كان الناسك يقول لنفسه: «ها أنذا الآن أنبذ الجسد الذي عاشرته زماناً طويلًا.. الجسد الذي كان موضع حب وإعتزاز أبي وأمي عندما كنت رضيعاً، الجسد الذي توصلت عن طريقه إلى أسرار علم اليوجا. لقد بكى إذ دار هذا الخاطر في ذهنه.. وذلك لأنه من العسير على المرء أن يمحو من قلبه حبه لجسده!.. لكنه لم يلبث أن رقص طرباً حين حدث نفسه: «إنني لن ألبث أن أنتقل إلى جسد جديد، لشاب في مقتبل العمر. ومن ثم سيمتد بي الأجل بحيث أستطيع أن أحقق نجاحاً أكبر في علم «اليوجا». فمن من الناس لا يتوق إلى الشباب؟»».

وما أن سمع الشيطان جواب الملك، حتى إختفى –مرة أخرى– من فوق كتفيه، عائداً إلى شجرة «السيستو». فهرع الملك خلفه، عازماً على بذل جهد أكبر، ليتحقق له الفوز!.. لأنه إلى نهاية الدهر ستظل الغلبة للمثابرين على أكثر الجبال منعة وأوعرها مسلكاً!.

وقبض الملك على الشيطان وأنزله من الشجرة، ثم حمله فوق كتفه!.. وفي أثناء الطريق قال له الشيطان: «أيها الملك. أتراك لم تتعب بعد من الغدر والرواح؟ أما أنا فقد نال مني التعب. لذلك أنصت إلى لأفضي إليك باللغز الأعظم:

اللغز الأعظم

«حدث منذ زمن بعيد أن كان أحد السلاطين يحكم ولاية صغيرة تقع في الجنوب من الهند، وقد إتصف بالعدل، والتدين، والكرم، مما جعله موضع حب رعاياه، فكانوا –من كبيرهم إلى صغيرهم– لا يترددون في إفتدائه بحياتهم.. بيد أن أقاربه كانوا يحسدونه على حب رعاياه، ويستكثرون عليه ما كان يتمتع به من جاه وسطوة. وكان لذلك السلطان زوجة بلغت من الفتنة والجمال حدا كان الناس معه يتوجونها –في أذهانهم– ملكة على كافة الحسان والفاتنات!.. وقد أنجبت له زوجته هذه ابنة ورثت عنها سحرها، فما رآها أبوها حتى سماها «جميلة».

غير أن مكائد أقارب السلطان ودسائسهم لم تلبث أن أتت ثمارها، فنجحت المؤامرة التي دبروها في خلعه عن العرش، وتقسيم السلطة فيما بينهم. إلا أن الملك تمكن من الفرار مع زوجته وابنته، تحت جنح الظلام، حاملًا معه كنزاً من الجواهر التي أمكنه إنقاذها. وولي وجهه مع أسرته شطر ولاية «مالافا» حيث يعيش والد زوجته.

وكان الليل قد أرخى سدوله حين بلغ السلطان حدود الأحراش الكثيفة التي تكسو جبال «فندهيا»، وهناك إستسلم للبكاء والنشيج حزناً وأسى، وإستنكاراً لغدر الزمان وتقلبات الدهر. وكانت الشمس قد هبطت في هوة الغروب وهي تبعث إليه بإشارات التحذير من إجتياز الغابة – المكتظة باللصوص وقطاع الطرق– تحت جنح الليل. بيد أن الملك الجسور، الذي لا يرهب خطراً، والذي سيغت روحه من أوراق شجر «الكوسا» الحادة الأطراف، لم يعر تحذيرها إهتماماً، وإنما حث الخطى –مع أسرته– حتى وصل إلى وكر قبيلة «بهيل» التي إحترف أفرادها سلب أمتعة المسافرين والإعتداء على حياتهم.

ولمح أفراد العصابة الملك يقترب من وكرهم، مرتدياً زبه الملكي، حاملًا مجوهراته، فهب عدد منهم إلى سيوفهم وكافة أنواع أسلحتهم، ليهجموا عليه ويستولوا على ثروته. ولمحهم السلطان بدوره، فطلب من زوجته وابنته أن تختفيا بين أغصان الأشجار المتشابكة، حتى لا تقع أيدي أولئك المتوحشين عليهما، فإستجابت الملكة لطلب زوجها، وهرعت مع ابنتها –في فزع وجزع عظيمين– لتختفيا بين الأحراش الكثيفة..

ووقف السلطان بمفرده شاهراً سيفه ودرعه ليلاقي بهما جيش المعتدين الذين هجموا عليه بعنف، حتى إذا بلغوا مرمى سهامه عاجلهم بوابل منها فأسقط منهم الكثيرين مجندلين، بيد أنهم لم يلبثوا أن تكاثروا عليه، فأطاحوا بدرعه وسيفه، ثم حزوا رقبته بسيوفهم. وروعت الملكة

عندما شاهدت الصورة التي لاقي بها زوجها حتفه غيلة وغدراً، غير أنها لم تجرؤ على إتيان أية حركة، حتى إنصرفت «قوات الظلام»حاملة معها مجوهراتهم. فخرجت عندئذ من مخبئها، وإقتربت من زوجها الراقد على الأرض غارقاً في دمائه، يراودها الأمل في أن تكون ثمة أنفاس لا تزال تتردد في صدره. ولكنها تبينت أنه فارق الحياة، فجلست بجواره تندبه وتبكيه. بيد أن هاجساً لم يلبث أن ألم بها، فخشيت أن يعود اللصوص مرة أخرى، وهاجمها الخوف والفزع. ومن ثم سحبت ابنتها من يدها، وراحت تركض بها، فلم تتوقف حتى بلغت غابة أخرى نائية.

وعند الظهيرة، جلست مع ابنتها في ظل الأشجار تلتقطان أنفاسهما، وهناك أستسلمتا لأشجانهما، وذرفتا الدموع الساخنة من فرط اللوعة والأسي.

***

وفي تلك الأثناء، خرج نبيل يدعى «كاندراسيمها» مع ابنه «سيمهاباركراما»، على صهوة جواديهما للصيد –وكانا يقطنان في تلك الغابة– فوقع بصرهما على صفين من آثار أقدام واضحة على الرمال. وعندئذ قال النبيل لابنه: «لنتبع آثار هذه الأقدام التي تنم عن جمال صاحبتيها، فإذا لحقنا بهما، لك أن تختار منهما التي تروق في عينيك لتكون زوجة لك!»، فأجابه الابن قائلًا: «لا حاجة بي لأن أنتظر رؤيتهما، لكي أدرك أن القدمين الصغيرتين تمتان لفتاة في مقتبل العمر، وهي التي

ستغدو خير زوجة لي. أما الأخرى ذات القدمين الكبيرتين، فأغلب الظن أنها في منتصف العمر، ومن ثم فهي تناسبك أكثر!».

فإستنكر الأب كلام ابنه وقال له: «ما هذا الهراء الذي تتفوه به. إن جسد أمك لم يبرد بعد، وروحها لم تنطلق إلى السماء غلا منذ قليل. فكيف أفكر في الزواج من إمرأة أخرى، وقد فقدت –لتوي– زوجتي المثالية؟».. إلا أن الإبن لم يقتنع بمنطق أبيه وراح يجادله قائلاً: لاتقل هذا يا أبي. أن زواجك من إمرأة أخرى لا يعني أنك خنت عهد أمي، فأنت في حاجة إلى الزواج أكثر مني.. لأن منزل الرجل يظل شاغراً لا روح فيه إذا خلا من زوجة. ألم تبلغك حكمة «مولاديفا» الذي قال أن البيت لا يعد بيتاً بالنسبة لصاحبه إذا خلا من زوجة فاتنة، وإنما هو أقرب إلى سجن

جرد من وسائل الحراسة، لا يؤمه إلا الحمقى!.. فلتحل بي لعنة الموت إذا لم تأخذ المرأة الثانية زوجة لك!».

وأخيراً إقتنع الأب بمنطق ابنه، وراح الإثنان يتبعان آثار الأقدام، حتى وقع بصرهما –أخيراً– على الملكة «كاندرا فاني» وابنتها جالستين تحت الشجرة بالقرب من البحيرة. ولاحت لهما الأم ببشرتها السمراء وعقود اللؤلؤ التي تزين جيدها الفاتن، أشبه بالسماء الصافية الأديم، عند منتصف الليل، وقد أضاءت صفحتها أشعة القمر وقت إكتماله. أما الابنة فكانت هي القمر بذاته!.

ولمحت الملكة وابنتها الفارسين اللذين كانا يتقدمان نحوهما، فحسبناهما لصين، فنهضنا على أقدامهما مرتجفتي الأوصال. إلا أن النبيل راح يهدىء من روعهما قائلاً: «لا تخافا، أيتها السيدتان الفاضلتان، فإننا لسنا من قطاع الطرق، وليس لنا مأرب في نفائسكما.. أن بوسعي أن أحكم من لباسكما الأنيق والجواهر الكريمة التي تتحليان بها، إنكما من كرائم العائلات وقد خرجتها للصيد في الغابة».

بيد أن المرأتين ظلتا مترددتين، غير مطمئنتين، فترجل الابن «كاندراسيمها» عن جواده، وخاطب الأم قائلاً:

«ليس ما يدعو للخوف ياسيدتي. فقد إقتفينا أثر كما تحدونا أطيب النوايا وأنبل الأغراض. تمالكي نفسك وأخبريني من تكونين؟.. أتراك ربة العشق خرجت إلى الغاية لتنوح على حبيبها «إله الحب» الذي أحرقته عين الإله «سيفا» الثالثة [٧] ؟.. لماذا توغلتما في الغابة الموحشة حتى بلغتما هذا المكان؟.. إن أناقة ثيابكما تجعلكما خليقتين بأن تكونا زينة أفخم المخادع في أعظم القصور الملكية!.. إنني لا أستطيع أن أمنع نفسي من التساؤل عن السبب الذي جدا بكما الى السير بأقدامكما الرقيقة المرفهة –والتي تعتز بإمتلاكها سليلات المجد وكرائم السيدات–

[٧]تحكى الأساطير الهندية أن الإله سيفا -إله الإنتقام- كان يملك عيناً ثالثة، وقد أصيب بسهم أطلقه عليه إله الحب، أثناء تقديم ذبائحه على جبل «كابلاسا»، فإنتقم لنفسه بأن صوب نحوه شعاعاً نارياً من عينه الثالثة، فقضى عليه!.

فوق أرض الغابة المليئة بالأشواك! وليس لي أن أسأل كيف عجزت ذرات التراب الذي تذروه الريح عن تشويه قسمات وجهيكما، وكيف حدث أن هذه الشمس المحرقة التي صبغت بشرتنا، لم يكن لها من تأثير على بشرتكما أكثر من تأثير دغدغة النسيم العليل وهو يداعب جسديكما اللذين يحكيان الأزهار رقة ونعومة! ولكنني مشتاق يا سيدتي لأن أعرف ما هو الأمر الجلل الذي دفعكما لأن تخرجا إلى هذ الغابة المكتظة بالوحوش الضاربة!».

وظلت الملكة تستمع في ألاة إلى حديثه المنمق المهذب، ولم تلبث أن تغلبت على حيائها، فقصت عليه ما حدث لهما بالتفصيل. وقد روع النبيل حين علم أن الملكة وابنتها إضطرتا إلى الفرار بغير حراسة. وراح يحاول أن يبث الطمانينة في نفسيهما بعبارات تفيض حنواً وعطفاً. ثم اأكب الأم أمامه فوق جواده والابنه أمام ابنه، وساروا جميعاً إلى الضيعة التي يملكها النبيل في قرية «فينابابوري».

وهناك إكتشف النبيل أن الابنة هي صاحبة القدمين الكبيرتين، فاتخذها زوجة لنفسه، أما الأم فغدت من نصيب الإبن إذ كانت هي صاحبة القدمين الصغيرتين. ذاك لأنهما لم يشاءا أن ينقضا الإتفاق الذي عقداه في الغابة حين كانا يقتفيان آثار أقدام المرأتين، لأن الوفاء بالوعد من شيم الكرام. وقد نجم عن الخطأ الذي وقعا فيه أن صارت الأم زوجة ابنتها، والابنه زوجة ابن الزوج! وبمرور السنين أنجبت كل من الأم و ابنتها أولاداً وبناتاً، ورزق هؤلاء بدورهم بأولاد وبنات!»

وكانت تلك هي عقدة اللغز الأعظم، فسأل الشيطان الملك «تريفيكراماسينا» قائلاً: «أخبرني أيها الملك، ماهي القرابة بين أبناء الأب والابنة وأبناء الأم والابن؟.. ستحل بك اللعنة إذا كنت تعرف الجواب وتتواني في الإفصاح عنه!».

وراح الملك يقدح زناد فكره ليصل إلى الحل الصحيح، لكنه أخفق في الوصول إليه. فلما أدرك أنه قد غلب على أمره لزم الصمت. وعندئذ إبتسم الشيطان المتقمص جثة الميت التي تحملها الملك فوق كتفيه، قائلًا في نفسه: «لقد عجز الملك –في هذه المرة– عن حل اللغز، ومن ثم أمن شر لعنتي، فسار في طريقه جذلًا طروبا. إن قلبي لا يطاوعني على التمادي في خداع هذا الرجل الطيب، ذي القلب النبيل. ولكن ماذا أملك أن أفعل، وذلك الراهب اللئيم لن يتردد في الإقدام على أية فعلة خسيسة للإقتصاص منه؟ ينبغي أن يتفتق ذهني عن خطة ماكرة لخداع ذلك المتسول الشرير، محولًا دفة النصر إلى هذا الملك النقي السريرة!».

ثم قال الشيطان للملك بصوت مرتفع: «يا صاحب الجلالة. إنني أرى أنك تكاد تسقط من فرط الإعياء والخور، بعد كل هذا الغدو والرواح في أرض المحرقة هذه، الرهيبة المنظر في ظلام الليل. إلا أن روحك تتوق إلى السلام، في غير تردد ولا تخاذل. ولما كنت معجباً بمثابرتك وصبرك النادرين، فقد قررت أن أعفيك من حمل هذه الجثة، على أن تنصيب جيداً إلى ما سأقوله لك وأن تنفذه حرفياً. إن ذلك

المتسول -الذي طلب منك أن تحضر له الجثة- إنما هو أحد أتباعي، وقد غضبت عليه لإرتكابه الشرور والآثام، وهو يحاول منذ مدة طويلة أن يفوز بعفوي، بتقديم الذبائح والقرابين لي. لذلك أحسبه قد إختارك لتكون ذبيحته التالية التي يتوسل بها لكسب رضائي. إنه سيطلب منك أن تستلقي على ظهرك، بحيث تلمس أطرافك الأرض، فإذا فعل ذلك إطلب إليه أن يربك الطريقة. وعندئذ أهجم عليه وأقطع رقبته بسيفك، وبهذا تفوز -دونه- بالمأرب الذي يسعى إليه: وهو الجلوس على عرش مملكة الجن، وإلا فإنه سيضحي بك. هذا هو السبب الذي أغراني على مطاردتك بقصصي وألغازي طوال الوقت!».

وعلى الفور انسل الشيطان من الجثة. وسار الملك بحمله يمعن التفكير في عجائب الدنيا، وكيف أن المتسول «كشانتيلا» قد ظهر على حقيقته، فإذا هو راهب شرير بيد أن الملك كان من أولئك الذين يسلمون أمورهم للقدر يتصرف فيها كيفما شاء، ومن ثم عادت السكينة إلى نفسه، وواصل سيره نحو شجرة «الفاتا» حيث وجد الراهب يربض في إنتظاره. وهنالك رآه يحملق في أرض المحرقة التي ألقى عليها الضوء الخافت المنبعث من الهلال الهزيل منظراً رهيباً مفزعاً. ولمح الملك على الأرض المغطاة بالدماء دائرة سحرية رسمها الراهب بمسحوق العظام الأبيض، وقد أضاء الدائرة نور يعشي الأبصار، ساطع من مصابيح موقدة باللحم البشري. لقد أعد ذلك الشيطان المذبح، ولم يبق سوي الضحية ذاتها!.

ورفع المتسول عينيه، وإذ رأى الملك قادماً يحمل الجثة، هب واقفاً على قدميه، وقد أشرق وجهه بإبتسامه كالحة، فما وصل الملك إليه حتى بدأ يكيل له المديح والثناء، متغنياً بمآثره وعظمته، قائلاً: «آه أيها المهراجا العظيم. لقد غدرتني بفضل لن أنساه لك مدي الحياة، وقمت لأجلى بخدمة تعد في حكم المستحيل. إذ لايوجد ما يقسرك على مغادرة قصرك الآمن وفراشك الوثير، في هذه الساعة من الليل، بينما الأمر لا ينطوي على أية فائدة لك. ولا عجب الآن في أنهم بعدونك أعظم الملوك قاطبة، لأنك تتصف بالأمانة في معاملتك، وبالمحافظة على كلمتك. وقد ثبت ذلك في أجلي صورة، إذ أدت عمل غيرك غير مبال بما تتعرض له حياتك من خطر. وهذا بذاته هو الذي سماه القدماء –منذ قديم الأزل– عظمة العظيمة!».

وقد حسب الراهب أن أمانيه على وشك أن تتحقق، فأنزل الجثة عن كتف الملك، وغسلها ودهنها بالطيب والمسك، ثم زينها بالورود والرياحين، ووضعها داخل الدائرة السحرية التي رسمها!.. ووقف برهة يحملق فيها وهو مستغرق في تفكير عميق، ثم أدى بعد ذلك طقوس عبادته، وقدم بعض الذبائح التي تتألف من جمجمة طفل رضيع، وباقة من الزهور، وقدر من المعاجين المعطرة، ثم أطلق البخور بأن أحرق عينين آدميتين وشريحة من اللحم البشري!.. حتى إذا إنتهى من هذه الطقوس إلتفت إلى الملك قائلاً: «ياصاحب الجلالة، تمدد على ظهرك فوق الأرض أمام الساحر العظيم الماثل أمامك. وسأحقق لك أية رغبة مهما كانت عسيرة التحقيق!».

وأعادت تلك الكلمات إلى ذهن الملك تحذير الشيطان، فأجابه قائلاً: «لست أعرف كيف أفعل ذلك ياسيدي المبجل، فأرني أولًا وسأفعل مثلك!».. فاستلقي المتسول على ظهره ليريه الوضع المطلوب، وعندئذ بادره الملك بضربه من سيفه أطاحت برأسه، ثم شق صدره وإنتزع منه القلب الذي كان يشبه زهرة اللوتس المتفتحة.

إذ ذاك إحتشدت آلاف الأشباح في السماء تهلل وتهتف –في حماس– بحياة الملك البطل. وظهر الشيطان للملك مرة أخرى وخاطبه قائلاً: «لقد أصبحت مملكة الجن تحت امرتك حين تنتهي أيام حكمك على الأرض. وهو الشيء الذي كان المتسول يتحرق شوقاً إلي الحصول عليه!.. وهذه مكافأتك على طول صبرك وإحتمالك!».

فأجابه الملك قائلاً: «إن أعظم مكافأة لي أن أراك مغتبطاً راضياً. إلا أن ثمة رغبة واحدة أرجو أن تحققها لي: وهي أن يتاح لتلك الألغاز الرائعة التي سردتها لي –ولاسيما اللغز الأخير الذي عجزت عن حله – أن تتناقلها الألسنة من جيل إلى جيل!»، فقال الشيطان: «لا بأس، لسوف أجيب رغبتك، فأجعل هذه القصص خالدة على مدى الزمن، وسأعمل على أن يكسب كل من يقرأ هذه القصص بتمعن وانتباه مناعة ضد الشياطين والغيلان والساحرات والمردة والخائنات من النساء! قال الشيطان ذاك ثم اختفى بقوة السحر. وعندئذ ظهر الإله «سيفا» – محوطًا بباقة من الآلهة –وقال للملك «تريفيكراماسينا»: طوباك من بين بني البشر! أنت يا من قتلت ذلك الراهب المزيف الذي كان يطمع في

السيطرة على عالم الجن. فمنذ البدء خلقتك -من قطعة مني -وأنا أعلم أنك ستقهر قوى الشر الكامنة في بعض البرابرة. لذلك حبوتك بصفات الشجاعة والقوة والأمانة، وستكون أنت الحاكم على كل ممالك الأرض فضلاً عن مملكة الجن. وستنعم بكل الملذات الدنيوية والسماوية. ولكن نفسك لن تلبث أن تعاف كل هذه الملذات، فتنبذها باختيارك. وفي النهاية ستتحد معي بواسطة هذا السيف الذي سيكون وسيلتك إلى تحقيق كل أهدافك! ».

وقد دارت كل هذه الأحداث قبل أن ينصرم الليل، فعاد الملك -قبيل الفجر -إلى دولته «براتيشتانا» حيث قابله الأهالي باحتفال عظيم، ولم ينتظر الملك ليغتسل من وعثاء الطريق، بل سارع إلى توزيع الصدقات، ثم قدم فروض العبادة للآلهة «ابنة الجبل»، وقضى بعض الوقت يستمتع بالغناء والموسيقى والرقص.

ولم تمض سنوات حتى كان حكم الملك «تريفيكراماسينا» قد امتد إلى كل ممالك الأرض، بفضل سيف الإله «سيفا» السحري، وشجاعة الملك النادرة وتحقق وعد الإله الأعظم له، فظل فترة طويلة ينعم بملذات عالم الأرواح.. إلى أن اتحد مع الإله !!

الحب والمال

حدث منذ زمان طويل أن كانت تعيش في مدينة «ماتهورا» –مسقط رأس الإله كريشنا» –غانية لعوب تدعى «فاتنة». وكانت أمها التي تعمل وسيطة لها في جلب العملاء تسمى «تمساحة». وعلى قدر ما كانت «فاتنة» صارخة الفتنة حقاً، كانت الأم بمثابة القذى في أعين شبان المدينة العاشقين لابنتها!

وذات يوم، كانت فاتنة تتجه صوب ساحة المعبد، حين لمحت – من بعيد –شابًا طويل القامة، مفتول الذراعين، متناسق القسمات. فراح قلبها يخفق بعنف، وطارت من رأسها كل الدروس التي تلقتها عن أمها في فن الغواية والإغراء! وفي الحال قالت لخادمتها: «اذهبي بهذه الرسالة إلى الرجل الواقف هناك، وإطلبي منه أن يحضر إلى منزلي على الفور! ».

وقرأ الشاب الرسالة ثم ألتفت إلى الخادمة قائلًا: «إنني برهمي فقير وأسمي «أوهاجانجا»: وأنا لا أملك شروى نقير، فمن أكون حتى تلج قدماي دار فاتنة التي لا تفتح بابها إلا لأسياد القوم؟»، فأجابته الخادمة قائلة: «إن سيدتي لن تطلب منك مالاً!» وعندئذ وافق الشاب قائلاً: «قولي لسيدتك إني سأحضر في المساء!».

فما علمت «فاتنة» بموافقة الشاب حتى كادت تطير من الفرح، وهرعت إلى منزلها وقد امتلأ قلبها بالسعادة، وهناك راحت تذرع غرفتها جيئة وذهابًا، وهي لا تكل من النظر إلى الشارع، بين هنيهة وأخرى. وأخيرًا حضر الشاب «لوهاجانجا»، فما أن رأته «تمساحة» –أم الفتاة – حتى راحت تسائل نفسها من يكون ومن أين أتى! أما فاتنة فقد استقبلته استقبالًا حارًا ينم عن مدى عشقها إياه ورغبتها فيه. وقد ألقت ذراعيها حول عنقه وضمته إليها بعنف، ثم أخذته إلى مخدعها! وعاش الشاب في منزل الغانية وأمها، لا يغادره إلا للضرورة القصوى، بينما فقدت «فاتنة» اهتمامها بغيره من الرجال!

وإذ أدركت الأم أن ابنتها قد وقعت صريعة العشق والهوى تولاها حزن فظيع، وهي لا تفتأ تسأل نفسها كيف وقعت ابنتها في هذا الخطأ الفاحش، وهي التي لقنتها ولقنت غانيات الحي فنون الفتنة والغواية. وانتهزت –ذات يوم –فرصة اختلائها بابنتها وقالت لها: «ماذا دهاك يا ابنتي؟ كيف تقبلين أن تعاشري مثل هذا الشخص المفلس؟ إن البغي «الفاضلة» تؤثر احتضان جثة ميت على معاشرة رجل فقير! فما شأن الغانية بالحب؟ هل نسيت المبدأ الأول: إن البغي العاشقة تشبه ضوء الشفق، فكلاهما إلى زوال سريع؟ خليق بك أن تفعلي كما تفعل الممثلة إذ تتظاهر بالحب لتفوز بالمال! اطردي ذلك التعس وإلا حطمت حياتك! ».

لكن «فاتنة» أجابتها في غضب: «لا تتحدثي هكذا. إنني أحبه أكثر من حياتي. ثم إن لدي من المال ما يكفيني، فما حاجتي إلى مزيد منه؟.. وإياك أن تتحدثي إلى هكذا مرة أخرى يا أماه!»، فاشتد القنوط بالمرأة، وراحت تنقب في ذهنها عن طريقة تتخلص بها من «أوهاجانجا».

وقد واتتها الفرصة لذلك حين لمحت –ذات يوم –في الطريق، أحد الفرسان الذين كانوا يجوبون البلاد للنهب والسلب، وقد بدا عليه الإفلاس، ومعه كوكبة من زملائه، فركضت إليه وانتحت به في مكان منعزل، وقالت له: «أغثني يا سيدي. لقد احتل عاشق مفلس منزلي، رافضًا الجلاء. فإذا ما استطعت - بأية وسيلة –أن تطرده من المنزل، أعدك بنصيب من المسرات مع ابنتي!».

فوافق الفارس على الصفقة في الحال ودخل منزلها. وقد صادف أن كانت «فاتنة» في الخارج إذ ذهبت إلى المعبد، في حين خرج «لوهاجانجا» ليقضي بعض حوائجه، فلما عاد هذا إلى المنزل، مطمئن البال، لا تخالجه بادرة من الشك فيما دبرته له المرأة الشريرة، انقضت عليه عصابة الفارس من كل جانب، وإنهال عليه رجالها ضربًا وركلًا، حتى سال الدم من كل جسده، وأخيًرا ألقوا به في وعاء للقمامة. بيد أنه تمكن –بطريقة ما –من الفرار. حتى إذا عادت «فاتنة» وعرفت ما حدث استولى على قلبها حزن مطبق. فلما رأى الفارس من قسماتها مدى حزنها على عشيقها، فضل أن ينصرف لحال سبيله.

وانطلق «لوهاجانجا» يهيم في أرجاء الأرض على غير هدى، ضاربًا في مجاهل البلاد، وقد احترق قلبه –بفعل الغضب المكظوم بسبب ما أصابه من إهانة –واحترق جسده بفعل حرارة شمس الصيف، فألتمس لنفسه مكانًا يستظل فيه ولم تكن ثمة أشجار، بيد أنه لم يلبث أن عثر على فيل ميت، كانت الذئاب قد التهمت لحمه ولم تترك منه سوى الجلد. فأنسل «لوهاجانجا» داخل جلد الفيل الذي جعله ما تسرب فيه من هواء عليل باردًا، رطبًا. ولم يلبث أن استغرق في النعاس من فرط التعب والإرهاق.

وفجاة هب إعصار عنيف، وتوافدت السحب من كل جانب، وسقطت الأمطار غزيرة، فانسابت المياه في الجلد فانتفخ. وحملته السيول إلى نهر «الجانجز» الذي حمله بدوره ثم ألقى به في المحيط. ولم يلبث طائر ضخم من فصيلة «الجارودا» أن حلق فوق المياه، فوقع بصره على الهيكل الطافي فظنه رمة ميت. ومن ثم انقض عليه وحمله بين مخالبه إلى شاطئ بعيد، وهناك شق الطائر بمنقاره جلد الفيل، فيما أبصر الرجل الراقد بداخله، حتى انتابه الفزع وطار بعيداً.

وبعد فترة استيقظ «لوهاجانجا» من نومه، فاستولت عليه دهشة لا مزيد عليها إذ وجد نفسه في ذلك المكان النائي، وقد خيل إليه أنه في حلم. لكن الدهشة ما لبثت أن تحولت إلى رأس قاتل حين شاهد غولين ضخمين ينتصبان أمامه. بيد أن الغولين لم يكونا أقل منه خوفًا وفزعًا، إذ

تذكرا الهزيمة التي هنيا بها على يدي البطل «راما». فلما رأيا ذاك الآدمي، وقفا يحملقان فيه دون أن يحركا ساكنًا.

وبعد مداولة قصيرة بينهما، ذهب أحدهما إلى الملك «فريبهيشاتا» لينذره بقدوم الآدمي الغريب، فاضطرب الملك أيما اضطرب، وقد شاهد بنفسه من قبل جبروت «راما». وقال للغول: «اذهب إلى ذلك الآدمي، وأطلب إليه –في أدب –أن يشرف منزلي بزيارته!»، فأجابه الغول: «سمعًا وطاعة!»، ثم ذهب ليؤدي الرسالة التي كلف بها، وهو يرتجف خوفًا وفرقًا.

وقبل البرهمي دعوة الملك بارتياح. فقاده الغول إلى القصر الملكي في مدينة «لانكا» عاصمة ملكه. وفي الطريق إلى القصر، راح «لوهاجانجا» يردد الطرف في أنحاء المدينة، فأذهلته كثرة القصور المشيدة بالذهب الخالص التي تزخر بها. واستقبله الملك بالترحيب اللازم، وتحدث إلى ضيفه باحترام وتبجيل، قائلًا: «كيف استطعت –أيها البرهمي –الوصول إلى هذه البلاد؟»، فأجابه الرجل الماكر: «إنني من مدينة «ماتهورا،» وأسمي «لوهاجانجا». وقد كنت أعاني فقرًا مدقعًا، فذهبت إلى أحد المعابد حيث جثوت أمام الإله «فيشنو»، وصمت عن الطعام فترة طويلة. فاستجاب الإله المبارك لدعواتي، وظهر لي في الحلم قائلًا: «اذهب إلى «فيبهيشانا». فهو من عبيدي المخلصين، وهو الذي سيجعلك ثريًا». فقلت له: «لكن «فيبهيشانا» يقطن بلداً بعيداً، وليس من وسيلة لبلوغه!». بيد أن الإله عاد يقول لي: «اذهب إليه ولسوف

تقابله اليوم!». وعند ذاك استيقظت من نومي، فإذا بي أجد نفسي راقدًا على الشاطيء. هذا كل ما أعرفه! ».

واستمع «فيبهيشانا» لكلمات «لوهاجانجا» وهو يتذكر قوة «لانكا»، فأيقن أن هذا الرجل يتمتع بقوة سماوية خارقة، وأجابه قائلاً: «امكث هنا، سأغرقك بالخيرات!».. ومن ثم أودع البرهمي في رعاية الغول –آكل لحم البشر –بعد أن أوصاه به خيراً، ثم أوفد الغول الآخر إلى جبل «سفارنامونا»، ليحضر طيراً حديث الفقس من فصيلة «الجارودا». ثم سلم الطائر للآدمي ليتدرب على أعدائه، قبل أن يتأهب للعودة إلى «ماتهورا».

وما أن أبدى «لوهاجانجا» رغبته في الرحيل، حتى قدم إليه الملك عدداً وفيراً من الجواهر النفيسة التي لا تقدر بمال، وأعطاه زهرة «لوتس»، وصدفة بحرية، وقرصاً من الذهب الخالص، وصولجانا، ليحل ذلك كله كتقدمات تعبر عن إخلاصه وخضوعه للإله «فيشنو» الذي اتخذ من مدينة «ماتهورا» مقراً له.

وحمل «لوهاجانجا» الهدايا، ثم امتطى ظهر الطائر الذي وهبه الملك إياه كهدية وداع، والذي كان قادرًا على التحليق مسافة ألف فرسخ. وبدأ رحلته من لانكا، ثم عبر المحيط، وما لبث أن بلغ «ماتهورا»، دون أن يصادفه ما يعوق رحلته، وهبط بالقرب من دير مهجور، خارج المدينة، حيث خبأ الكنز، وربط الطائر! ثم اتجه إلى

السوق فباع إحدى الجواهر، وإبتاع بثمنها ثياباً وزيوتاً وطعاماً. ثم تناول الطعام في أحد الأروقة، وتسربل بالثياب الفاخرة، وتعطر بالزيوت، وتزين بالأزهار.

حتى إذا أرخى الليل سدوله، أمتطى الطائر مرة أخرى حاملاً معه القرص والصولجان والصدفة البحرية، وطار نحو منزل فاتنة. وهناك راح يحلق في الهواء، ثم أطلق صفيراً خافتاً لينبه عشيقته. فما سمعت الغانية الصفير حتى هرعت إلى السطح. وإذا بها ترى رجالًا على هيئة «فيشنو» يحلق في السماء، حاملاً جواهر تلتمع وتبرق، ويقول لها: «إنني فيشنو! وقد جئت أطلبك!». فوقعت على وجهها أمامه وهتفت قائلة: «رحماك يا مولاي. رحماك!». وعندئذ هبط «لوهاجانجا» على السطح، وربط الطائر، ثم ذهب مع عشيقته إلى مخدعها. وبعد أن تذوق –بين أحضانها –ملذات الحب والغرام، خرج وأمتطى ظهر الطائر وحلق به في الفضاء.

وفي اليوم التالي، أبت فاتنة أن تتحدث إلى أحد، وهي تقول في نفسها: «لقد اختارني «فيشنو» زوجة له. ومن ثم لن أتحدث إلى أحد من البشر الفانين».. وقالت لها أمها: «ما خطبك يا ابنتي؟ أخبريني!». لكن «فاتنة» أسدلت ستارًا بينها وبين أمها. فلما ألحت عليها في السؤال، قصت عليها أمر الشرف الرفيع الذي أسبغه عليها الإله العظيم وفي بادئ الأمر، خالجت الريبة الأم في صحة القصة، ولكنها ما لبثت أن لمحت –في الليلة ذاتها –شبح «لوهاجانجا» فوق طائره، فلم يسعها إلا التصديق.

وفي اليوم التالي انحنت «تمساحة» أمام ابنتها من خلف الستار، وأخذت تناشدها قائلة: «حقًا إنك قد بلغت منزلة الآلهة يا ابنتي. لكننا لا نزال فوق الأرض، وأنا أمك التي ولدتك. فكوني ابنة بارة وامنحيني الجزاء الذي أستحقه، أطلبي إلى الإله أن يجعلني –أنا المرأة العجوز– ادخل الفردوس بجسدي الذي أحمله. كوني رحيمة بي!». فأجابتها فاتنة: «سأفعل!». وبالفعل نقلت أمنية أمها إلى «لوهاجانجا»، حين جاء إليها تلك الليلة، متنكرًا في هيئة الإله فيشنو!

ولعب «لوهاجانجا» دوره بمهارة، فأجاب عشيقته قائلاً: «أن أمك امرأة شريرة، وهي –بالتأكيد –جديرة بدخول الفردوس. ومع ذلك، ففي فجر اليوم الحادي عشر، ستفتح أبواب الفردوس، ليلج إليه أولاً أولئك الذين حفظوا برضاء «سيفا». ولن تستطيع أمك بأية حال من الأحوال الدخول إلا إذا تنكرت بإتقان. لذلك عليك بحلاقة شعر رأسها بالموسى، حتى لا تبقى فيها على شعرة واحدة فيما عدا خمس خصلات متفرقة، ثم أحيط عنقها بقلادة من الجماجم البشرية، وأطلي أحد جانبي وجهها بالقار الأسود، والجانب الآخر باللون الأحمر الفاقع، ثم جرديها من ملابسها. فإذا ما تنكرت بهذا الشكل حسبها حارس الجنة إحدى اللواتي نلن الحظوة. وهكذا أستطيع أن أدخلها الفردوس دون أن يكتشف أحد أمرها».

وبعد أن ألقى إليها «لوهاجانجا» بتعليماته، مكث معها بعض الوقت ثم انصرف، وفي الصباح نفذت فاتنة التعليمات حرفيًا، وظلت

العجوز الداعرة تنتظر بشوق لذات النعيم !.. وفي منتصف الليل ظهر «لوهاجانجا» ثانية. فتركت فاتنة أمها في رعايته.. فاصطحبها وهي عارية، وأمتطى معها الطائر، وسرعان ما كان ينطلق بها في عنان السماء، ولم يلبث أن لمح أمام أحد المعابد عاموداً طويلاً مصنوًاً من الحجر وقد علت هامته أسطوانة دائرية. فأرسى المرأة فوق العمود، وهنالك تركها معلقة في الفضاء لا يحميها من السقوط سوى تلك الأسطوانة. وظلت هناك كأنها بيرق يخفق في الهواء معلناً عن انتقامه من تلك المرأة التي أهانته أيما إهانة!

وقبل أن يتركها قال لها: «امكثي هنا، ريثما أعود إلى الأرض لأنعم على الناس بخيراتي! ثم اختفى عن أنظارها!

وأثناء ذلك تجمع أمام المعبد حشد من المصلين الذين وفدوا ليقضوا فيه ليلة العيد الكبير. فخاطبهم «لوهاجانجا» من سمائه قائلاً: «أيها الناس. ستسقط عليكم اليوم من الأعالي أخبث ألهة من ألهة الدمار.. إنها ألهة «الطاعون». فليكن لكم في فيشنو ملاذًا!». فما سمع أهالي «ماتهورا» –المحتشدون أمام المعبد –هذا الصوت الصادر من السماء، حتى انتابهم الذعر والفزع، وهرعوا ملتمسين الحماية من الإله، متوسلين إليه في صلواتهم أن ينقذهم، وفي تلك الأثناء هبط «لوهاجانجا» من السماء، وخلع ثياب التنكر، ثم اندمج في الجماهير !!

وعلى قمة العامود جلست الحيزبون تخاطب نفسها قائلة «إن الإله لن يعود اليوم، ولن أدخل الفردوس الآن! .. ثم نظرت إلى أسفل من ذلك العلو الشاهق فانتابها الدوار، وأحست بأنها ستسقط وشيكًا، فهتفت في فزع قائلة: «إنني سأسقط!».. فلما بلغت صرخاتها مسامع الناس رفعوا أنظارهم إلى أعلا، فرأوا تلك الشمطاء المشوهة، فحسبوها ألهة الطاعون التي أنذرهم بها الصوت الصادر من السماء، وراحوا يتوسلون إليها قائلين: «كلا.. لا تسقطي.. لا تسقطي أيتها الألهة!».

وظل أهالي «ماتهورا» –شيباً وشباباً –في حالة لا توصف من الخوف والفزع، مترقبين سقوط ألهة الطاعون فوقهم من لحظة لأخرى !.. ولكنهم حين تبلج الصبح استطاعوا أن يميزوا المرأة العجوز، بشكلها الذي يدعو إلى السخرية.. فتبدد الخوف عنهم وانفجروا ضاحكين. وما أن سمعت «فاتنة» بما حدث حتى هرعت إلى المعبد، فلما تبينت أن المرأة التي تثير الهزء هي أمها استولى عليها خجل فظيع .. وقد عاونها بعض أهل الخير على إنزالها من فوق العامود!

وفي فضول عظيم، تجمهر الناس حولها، طالبين من الحيزبون أن تحكي لهم ما حدث. فلما فعلت أعتقد الناس جميعًا –بما فيهم الملك والبرهميون والتجار – أن هذه الخدعة من فعل ساحر. ومن ثم صدر في المدينة الإعلان التالي: «ليظهر الرجل الذي خدع تلك المرأة، التي ضحكت على ذقون عدد وافر من العشاق، وسيتسلم على الفور عباءة الشرف!».

فأظهر «لوهاجانجا» نفسه، وقص على الجميع القصة بحذافيرها، ثم قدم للإله فيشنو الهدايا التي أعطاه إياها الملك «فيبهيشانا»، والتي كانت تتألف من الصدفة البحرية والصولجان، وزهرة اللوتس، والقرص الذهبي، وقد وقف الجميع مبهوري الأنفاس يتأملونها في دهشة عارمة. ثم بدأ القوم احتفالاتهم، فدثروا «لوهاجانجا» برداء الشرف بناء على أمر الملك، ثم أعطوه «فاتنة» زوجة له. وهكذا ظفر «لوهاجانجا» بالانتقام من المرأة الشريرة، وقدم للآلهة نذورها وفاز بعدد وفير من الجواهر النفيسة، ثم عاش مع زوجته فاتنة، يرتعان في السعادة والهناء!

حكمة ماهوداسا

خرجت امرأة –ذات يوم –حاملة طفلها الرضيع إلى بركة، تقع على مقربة من منزل الحكيم «ماهوداسا»، لكي يستحم، حتى إذا فرغت من ذلك أرقدت الطفل على الضفة، ثم نزلت –بدورها –في البركة لتغتسل. وفي تلك اللحظة لمحت الطفل غولة، فراق في عينيها وسال اللعاب من فمها، وتاقت نفسها إلى التهامه. وقد استعانت بالسحر فجعلت نفسها في هيئة امرأة في منتصف العمر . وتقدمت إلى الأم قائلة: «إنه لطفل جميل يا صديقتي. أهو ابنك؟»، فأجابتها الأم قائلة: «نعم»، فسألتها: «أتراك تمانعين في أن أرضعه؟»، فأجابت الأم قائلة: «كلا».

وعندئذ حملت الغولة الطفل بين ذراعيها، وراحت تهدهده في حنان، حتى إذا اطمأنت إلى أن الأم منهمكة في الاغتسال، أطلقت

ساقيها للريح. ووصل صراع الطفل –الذي أفزعته حركة الغولة المفاجئة –إلى مسامع أمه، فخرجت من البركة راكضة خلف الغولة، حتى إذا لحقت بها انتزعت فلذة كبدها من بين ذراعيها، سائلة إياها: «إلى أين أنت ذاهبة بابني؟». وكانت دهشة الأم عظيمة حين قالت لها الغولة: «إنه ابني أنا. فهل تريدين أن تغتصبيه مني؟»

وأصرت كل منهما على أنها أم الطفل. وبينما كانتا تتناقشان بصوت مرتفع، مرتا ببوابة الحكيم «ماهوداسا»، فخرج هذا من منزله ليتبين جلية الأمر. وسأل المرأتين قائلًا: لماذا تتشاجران، فراحتا كلتاهما تدليان بقصتهما في وقت واحد، بيد أن الحكيم لم يلبث أن اكتشف حقيقة الغولة من احمرار عينيها، وثبات مقلتيها في محجريهما. فسألهما قائلًا: «أتراكما ستخضعان لقضائي فأجابتاه: «نعم. سنخضع».

ورسم الحكيم فوق الأرض خطًا بعصاه ووضع الطفل فوقه، ثم طلب من الغولة أن تمسك بذراعيه، ومن الأم أن تمسك بساقيه، وأن تجذبه كل منهما ناحيتها، وتكون الفائزة هي الأم الحقيقية!

وبدأت كل منهما تجذب الطفل نحوها بكل قوتها، فندت عن الطفل صرخة حادة من فرط الألم، وعندئذ أفلتته الأم على الفور وكأنما انشطر قلبها إلى نصفين، ثم وقفت في مكانها تبكي بحرقة.

فنظر الحكيم نحو جمع من الناس تجمهروا حولهم، وسألهم قائلاً: «أي قلب هو الذي يتأثر لألم الطفل! أهو قلب الأم أم قلب امرأة غريبة؟ ».

فأجابوه: «إنه قلب الأم، أيها الحكيم».

فسألهم مرة تانية: «أيهما الأم وأهي المرأة التي ظلت تجذبه دون أن تتأثر بألمه، أم الأخرى التي أفلتته! ».

فأجابوا قائلين: «بل الأم التي أفلتته! »

فقال: «ألم تكتشفوا بعد حقيقة المرأة التي ظلت تجذبه؟»

فأجابوه: «كلا. أيها الحكيم!»

فقال: «إنها غولة، وقد خطفت الطفل لتلتهمه».

فسألوه: «وكيف عرفت ذلك أيها الحكيم؟»

فأجابهم: «من احتقان عينيها ومن ثبات مقلتيها. ومن اختفاء ظلها. وقسوة قلبها!»

ثم استدار إلى الغولة يستجوبها قائلًا: «من تكونين؟»

– إنني غولة يا سيدي.

– ولماذا خطفت الطفل؟

– لألتهمه يا سيدي.

– أيتها الحمقاء الرعناء. لقد ولدت غولة بسبب الشر الذي ارتكبته في حق الآلهة والبشر، في حياتك السابقة. وها أنت تعودين إلى اقتراف الشر. حقاً إنك لغبية حمقاء!

وظل هكذا يوبخها ويقرعها ثم لم يصرفها من حضرته حتى أقسمت له على مراعاة المبادئ الخمسة. أما أم الطفل فقد راحت تسبح بحمده وتدعو له بطول البقاء، ثم حملت طفلها وانصرفت.

مدينة الذهب

منذ آلاف السنين، كان الملك «باروباكاراين» يجلس على عرش مملكة «فاردهامانا» التي كانت تعتبر –في ذلك الزمن –جوهرة العالم. وعلى قدر الحب الذي كان رعاياه يكنونه له، لما اتصف به من شجاعة وعدل وإحسان، كان أعداؤه يهابونه ويخشون بأسه. وكان الملك متزوجًا من امرأة تمتاز بجمال خارق يحاكي جمال البرق حين يلتمع وسط كتل السحاب الدكناء. بيد أنها كانت تختلف عن البرق في أنها كانت مخلصة، لا يعتور عواطفها تذبذب أو وهن!

ولم تلبث الملكة أن أنجبت لزوجها طفلة ورثت عن أمها سحرها وفتنتها، وكأنما لم يكن من هم الخالق –حين صاغها على تلك الهيئة الباهرة –إلا إذلال كبرياء آلهة الجمال!.. وأطلق الزوجان عليها اسم «كانكاريخا».. أو أكليل الذهب، على اسم أمها.

وبمرور السنين ترعرعت الطفلة وبلغت طور النساء، وأختلى الملك ذات يوم –بزوجته وقال لها: «لقد شبت ابنتنا–يا سيدتي –وبلغت سن الزواج، ومن ثم فإن القلق يساورني على مصيرها، حتى ناء قلبي بالهموم! أن العذراء الشابة –ذات الحسب والنسب، سليلة العائلات العريقة التي

لا تجد لها مكاناً مناسباً تستقر فيه، إنما تشبه أغنية ذات نغمات ناشزة، يؤذي رنينها الأذان!.. فماذا يكون الحال لو أن التوفيق جانب أبويها في اختيار زوج مناسب لها، فمنحاها الرجل تافه ليس جديراً بها؟ أن مثل هذا الزواج لا يؤدي إلى فضل أو شرف، وإنما إلى حزن وندم إلى أبد الدهر. هذه هي المشكلة التي تثقل قلبي ولا أعرف لها حلاً: إلى من من الملوك الذين تقدموا طالبين يد ابنتي ينبغي أن أزوجها؟ وكيف يمكنني أن أعرف منهم الشخص الجدير بها، والذي لن يالو جهداً في إسعادها؟».

فابتسمت الملكة وقالت: «أهذه هي المشكلة التي تقض مضجعك، بينما الفتاة ذاتها ترفض مجرد التفكير في الزواج؟ لقد فاجأت اليوم ابنتنا «أكليل الذهب» وهي تصنع لها دمية، فلما سألتها مازحة: «متى يتم الزفاف؟»، أجابتني بقولها: «لا تفوهي بمثل هذا الكلام يا أماه. إنني لن أتزوج أبداً، بل سأظل عذراء إلى أن أموت، إن القدر يمنعني من الافتراق عنكما. وسأظل أعيش في كنفكما، وسأكون مصدر سعادتكما، ولو عشت بينكما عذراء! أما إذا أرغمني على الزواج، فإنني سأموت لا محالة. وثمة سبب لذلك!». وقد اضطربت لكلماتها اضطراباً فظيعاً، وبادرت بالمجيء إليك لأنهي لك الأمر. إنني لا أملك إلا أن أتساءل هل من الحكمة أن تقهرها على أمر ضد إرادتها؟».

فلما سمع الملك هذه القصة من شفتي الملكة اضطرب قلبه وتكدر باله. ولم يتردد في الذهاب إلى جناح ابنته قائلاً: «ماذا أسمع يا ابنتي الحبيبة؟.. أحقاً ترفضين الزواج، والأليات والدوريات لا يترددن في

ملاقاة كل عناء من أجل العثور لك على زوج؟»، فغضت «أكليل الذهب» من نظرها احتراماً لأبيها، ثم قالت: «لست راغبة في الزواج يا أبي. الآن على الأقل. لماذا تدع هذا الأمر يقلقك، فتلح فيه؟ ».

وكان الملك «باروباكاراين» ملكاً حكيماً، خبيراً بشئون الدنيا، فأجابها قائلاً: «إني للمرء أن يكفر عن ذنوبه وخطاياه، إذا لم يبذل كل ما يسعه من جهد ليدبر لابنته زواجاً موفقًا؟ إن أحدًا لم يسمع بفتاة استغنت عن رعاية الرجال، فقد خلقت المرأة لتعيش في كنف رجل سواء أكان زوجها أو أباها، بل إن المرأة تولد وقد خط اسم زوجها في لوحة قدرها! إن أبويها يرعيانها لفترة محدودة تنتهي حتمًا، لتتوجه بعدها إلى بيت زوجها. إن الفتاة التي لا تتزوج ليس من حقها أن تعتبر بيت والديها بيتها، بعد انقضاء طفولتها. ويجب أن تدركي –يا ابنتي –أن الفتاة إذا ظلت عانسًا فإن أنوثتها لن تلبث أن تخبو بمرور الأيام –حتى إذا تزوجت آخر الأمر، لا يفوز زوجها عندئذ إلا بهيكل عظمي، مجرد من أحاسيس النساء!».

وأمام إلحاح الأب ومنطقه، لم تجد الفتاة بداً من التصريح بمكنون فؤادها، فقالت له: «إذا لم يكن من الأمر بد، فلا مانع لدي من الزواج من أي نبيل أو برهمي يتقدم طلباً يدي، على شرط أن يكون قد زار مدينة الذهب!.. هذا الرجل –ولا شخص غيره–هو الذي أقبله زوجاً؟ وعبثاً تحاول أن تغريني على التنازل عن هذا الشرط!»

وراح الملك يناجي نفسه قائلاً: «لا بأس. إنني أعتبر نفسي محظوظاً، إن اقتنعت ابنتي –على الأقل – بالفكرة!.. إن الشك يراودني أحياناً في أنها ألهة هبطت –لعلة ما –إلى الأرض لتولد تحت سقف بيتي! وإلا، من أين لها كل هذه الحكمة وهذا العلم؟ إنها لا تعدو أن تكون طفلة!»

وفي اليوم التالي عقد الملك مجلس وزرائه، وسأل الحاضرين: «أيوجد بينكم من زار مدينة اسمها «مدينة الذهب»؟ إذا كان أحدكم يعرف برهمياً أو نبيلاً زار هذه المدينة، فإني على استعداد لأن أهبه ابنتي لتكون زوجته، وأتنازل له عن العرش!». وراح كل من الحاضرين ينظر إلى الآخر في دهشة، ثم قالوا: «كلا يا مولاي، بل إننا لم نسمع بهذه المدينة قبل اليوم!».

وما أن انفض المجلس حتى أمر الملك بأن يخرج المنادون إلى طرقات المدينة، منادين –على صوت قرع الطبول –إن كان أحد قد زار مدينة الذهب، وطاف المنادون صائحين: «يا قوم، إن كان بينكم من زار مدينة الذهب، سواء أكان برهمياً أو نبيلاً فليتقدم إلى الملك الذي سيزوجه من ابنته الأميرة «أكليل الذهب» ويتنازل له عن عرشه! ».

وقد قوبل إعلان الملك بدهشة من جميع الذي سمعوه، وراح الناس يسألون بعضهم البعض قائلين: «أين تقع مدينة الذهب هذه التي

يعلنون عنها؟. إن أحدًا منا لم يسمع بها من قبل، وحتى العجائز منا لم يقع بصرهم عليها!».

***

وفي ذلك الوقت، كان أحد البرهميين الشبان يدعى «ساكيتديفا» يعيش في مدينة «فاردهاماتا». وكان يافعاً غريراً، فأطلق العنان لشهواته، وأفنى في لعبة النرد –في فترة وجيزة –كل ما ورثه عن أبيه. وكان قد خرج لتوه من إحدى نوادي القمار بعد أن خسر آخر ما تبقى لديه من مال، حين سمع المنادين يصيحون بأن الملك مستعد الآن يزف ابنته لرجل زار مدينة الذهب. وعلى الفور تفتق ذهنه عن فكرة خبيثة، فقال لنفسه: «لقد خسرت كل ثروتي، ولم يعد لدي ما أقامر به بعد اليوم، ولم أعد أجد ترحيباً من أحد. لقد طردني أعمامي من المنزل، وأغلقت الحانات والمواخير أبوابها في وجهي، ولست أملك مكانًا أبيت فيه. فماذا أخسر لو أنني زعمت أنني قد زرت مدينة الذهب هذه؟ أن أحدًا لم يذهب إليها، فكيف يستطيعون أن يكتشفوا خديعتي؟. ولربما ظفرت بالأميرة والعرش بهذه الطريقة!».

واستجمع شتات شجاعته، واتجه نحو المنادين، مطلقاً أكذوبته، وقال لهم «لقد زرت مدينة الذهب». فقال المنادي: «مبارك أنت بين الرجال. هلم بنا إلى رئيس الحجاب». واستقبل رئيس الحجاب أكذوبته باحترام وتبجيل، فلما مثل ذلك الأفاق في حضرة الملك لم يتلعثم، بل

كرر زعمه بجنان ثابت. فما هو الأمر الذي يحجم عن أدائه إنسان فقد كل ثروته في القمار ؟!

واستدعى الملك ابنته لتستمع إلى أقوال الفتى. فلما حضرت وسألته: «أحقاً تعرف مدينة الذهب؟»، فأجابها قائلاً: «أجل. لقد مررت بهذه المدينة –منذ زمن بعيد –أثناء تنقلي بين بلدان العالم المختلفة طلباً للعلم والمعرفة!»، فسألته: «إذن، صف لي الطريق إليها، وشكل هذه المدينة»، فأجابها بقوله: «لقد قمت من هنا قاصداً مدينة «هارابورا» ومنها يممت شطر جبال البنارس، وهنالك قضيت ثلاثة أيام ثم اتجهت صوب مدينة «بوندرافاردهانا»، ومنها ذهبت إلى مدينة الذهب.

أجل، لقد شاهدت المدينة، إنها بمثابة الفردوس للذين أوتوا فضلاً عظيماً. وهي تشبه في روعتها وبهائها جنة «اندرا» التي يعشى ضياؤها أبصار الناظرين، ما عدا أبصار الآلهة الذين لا يتحرك لهم جفن!.. هذه هي الطريق التي سلكتها إليها، وهذا هو شكل المدينة كما رأيته! ».

حتى إذا فرغ البرهمي من سرد قصته الوهمية، ابتسمت الأميرة في وجهه بحبور، ثم قالت: «صدقت أيها البرهمي العظيم. لقد أقمت الدليل –فعلاً –على معرفتك بالمدينة. ولكنني أرجوك أن تعيد شرح الطريق التي سلكتها!»، ومرة أخرى انطلق البرهمي يشرح الطريق، لكنه بذل عناية

أعظم –هذه المرة –في تنميق قصته، وإضفاء جو الصدق عليها، حتى إذا انتهى منها أمرت الأميرة وصيفاتها بإلقائه في الخارج!

ودهش الملك لتصرف الأميرة، ثم سألها: «ماذا؟ ألم يكن البرهمي صادقاً؟»، فأجابته الأميرة: «كلا يا أبي. بل لا توجد كلمة صدق واحدة فيما قال. إن أمرك عجيب يا أبي، فبالرغم من أنك تدير شئون الدولة بمهارة وحذق لا ينكرهما عليك أحد، فإنك تتصرف –أحيانًا –بغير تفكير. إلا زلت تجهل أن العالم مليء بالمحتالين والأفاقين الذين يتفننون في نصب شباكهم كي يوقعوا فيها السذج والأمناء من الناس؟ لقد حاول ذلك البرهمي أن يخدعني، لكن أمره لم يلبث أن انكشف، فأدركت أنه لم تطأ قدماه يومًا «مدينة الذهب». لذلك أنصحك يا أبي بألا تتعجل في محاولة العثور على زوج لي. أما أنا فقد قررت من جانبي أن أظل عذراء إلى أن ينجلي ما سطر لي في لوح القدر!»

لكن الملك ألح عليها قائلاً: «ليس طيباً –يا ابنتي –أن تظل الفتاة عذراء فترة طويلة. إن أشرار القوم –الذين لا يؤمنون بحرمة، والذين تغضبهم فضيلة الفاضلين –لا يملون ترديد الإشاعات الخبيثة عن الفتاة التي تظل بلا زواج، لأنهم يجدون أعظم متعة في تشويه سمعة الناس الطيبين. ألم تبلغك قصة هاراسفامين؟ إذن فأنصتي:

***

«كانت مدينة الزهور تقع على ضفاف نهر «الجانجز». وكان راهب يدعى «هاراسفامين» يقيم في هذه المدينة ليستفيد من بركات النهر المقدس. وقد اتخذ من كوخ صغير –شيده على ضفة النهر – مسكناً له، وهيكلاً يتعبد فيه. وكان يعيش على الصدقات التي يجود بها أهل الخير عليه . وقد اشتهر بالتدين والتقوى والعزوف عن شهوات العالم وملذاته .. وأكسبه تصوفه الخارق للعادة حب جمع سكان المدينة وعطفهم. وقد خرج ذلك الراهب من صومعته –ذات صباح –ليتسول طعامه وكان رجل شرير يقف بين جمهرة كبيرة من الناس، فما لمحه من بعيد حتى قال لمن حوله: «إن هذا الراهب الذي يتظاهر بالتقوى والدين منافق كبير. ألم تسمعوا بنبأ الأطفال الذين يختفون من منازل ذويهم فلا يعثر لهم على أثر؟ حسناً، لو تقصينا الأمر لعرفنا أنهم جميعًا قد انزلقوا إلى معدة هذا الراهب، فهو يتغذى بلحم الأطفال!»، وسرعان ما انضم إليه رجل ثان لا يقل عنه خبثاً، فقال: «أجل،

لقد سمعت الناس يرددون عنه ذات الأمر، على أنه حقيقة لا مراء فيها!».. ولم يلبث ثالث أن أكد إدعاءهما قائلاً:

«نعم، لقد نطقتما صدقاً!»

«كأن سلسلة حديدية قد إلتقت وضاقت حلقاتها حول عنق الرجل المظلوم، فسرعان ما إنتقلت الشائعة الذميمة من فم إلى فم ومن لسان إلى لسان، حتى إستفحل أمرها فإنتشرت في كل أرجاء المدينة، وكان من

نتيجتها أن باتت النساء يغلقن أبواب بيوتهن على أطفالهن، خوفاً من أن يختطفهم «هاراسفامين» ويلتهمهم أحياء.

«وقد خشي البرهميون الثلاثة أن يفتضح أمر وشايتهم الدنيئة، فقرروا فيما بينهم–أن يتخلصوا منه بطريقة حاسمة، فعقدوا إجتماعاً عاماً حضره معظم أهل المدينة، وأصدروا قراراً جماعياً بنقي الراهب من المدينة. بيد أن واحداً من الوفد الذي اختير التنفيذ الحكم لم يجرؤ على الإقتراب من الراهب، خشية أن يستشيط غضباً فيلهمهم واحداً بعد الآخر.. وأخيراً بعثوا إليه برسول منهم، وقف على مسافة بعيدة–ليتيح لنفسه فرصة القرار إذا إضطرته الظروف لذلك–وأنهي إليه بالحكم قائلاً: «لقد أصدر عليك البرهميون أمراً بأن تغادر المدينة فوراً، وإلى غير عودة!»، فسألهم الراهب مذهولاً: «وماذا إرتكبت حتى يصدر ضدي مثل هذا الأمر؟». فأجابه الرسول قائلاً: «إنك تأكل أطفالنا الصغار!».

وقد قرر الراهب أن يكتشف–بنفسه–جلية الأمر: فإندفع وسط الحشد المتجمهر، وأثناء ذلك إحتك كتفه بالبرهميين الثلاثة الذين روجوا الإشاعة، فأدركهم الفزع والوجل، وإنطلقوا هاربين ثم تسلقوا جدار الدير.

وقد كان طبيعياً أن يفروا من أمام وجهه، لأن الرجل البريء الذي تروج له إشاعة كاذبة، لا يمكن للمرء أن يتكهن سلفاً ما قد يقدم عليه، وغالباً ما تكون تصرفاته بعيدة عن التعقل!.

«ونادى هاسفارامين البرهميين الثلاثة الذين تسلقوا الجدار، وسألهم قائلاً: «ما هذه الحماقة أيها البرهميون؟ ليسأل كل منكم الآخر: من منكم فقد طفله؟ وكم يبلغ عدد الأطفال الذين إلتهمتهم. وراح أهل المدينة يسألون بعضهم بعضاً هذا السؤال، وإذابهم يكتشفون أن جميع الأطفال موجودون وأنهم أحياء يرزقون!. وإذ ذالك هتف الجميع قائلين: «لقد إتهمنا رجلا قديساً، من جراء غفلتنا وحماقتنا أن جميع الأطفال يلعبون في الشارع، لم ينقص منهم واحد فمن هم الذين إلتهمهم راهب إذن؟»».

«وهكذا ثبتت براءة الراهب بالبرهان القاطع، ولكنه صمم على الرحيل عن المدينة، إذ ما هي المدة التي يجدها الإنسان في البقاء في مدينة شريرة تجردت قلوب أهلها من الرحمة، وتجردت عقولهم عن الصواب؟!.. قد إنقلبوا جميعاً ضده لمجرد شائعات حقيرة رددها فريق من اللصوص الحاقدين!.. فلما أدرك أهالي المدينة عزمه على الرحيل دفعهم الندم إلى الركوع تحت قدميه، متوسلين إليه أن يبقى، ولم ينجحوا في مسعاهم هذا إلا بعد عناء كبير!».

***

وختم الملك قصته قائلاً: «أن هذا يثبت لك–بما لا يدع مجالاً للشك–أن قلوب الأشرار تحاول دائما الإيقاع بكل من إتصف بالأخلاق القويمة، فهم يناصبونه العداء ويروجون عنه الأكاذيب، بل إنهم–في

بعض الأحيان–يلفقون له الإتهامات!. وحين تحين لهم سانحة–مهما ضؤلت–يبادرون بإشعال نار الفتنة، ويذكونها بأن يصبوا فوقها دلاء مملوءة بالزيت السائل! .. والآن، هلا تراك راغبة في نزع هذه الشركة من جسدي؟ إذن عليك أن تبذي غاية جهدك لتفويت الفرصة على أولئك الأشرار الذي يتحينون فرصة تفتح أنوثتك لترويج الشائعات الذميمة عنك.. وذلك بأن ترتبطي–بأسرع ما يمكن–بشاب يليق بك!».

ولكن الأميرة لم تقتنع بالأدلة التي ساقها أبوها، بل واصلت جداها قائلة: «إذا كنت ترى أن هذه هي الطريقة الوحيدة، إذن فإعثر لي على نبيل أو برهمي يكون قد زار مدينة الذهب!» .. ولم يجد الملك تفسيراً لعنادها وإصرارها على هذا الشرط، سوى أنها لابد قد إحتفظت ببعض الذكريات من حياتها السابقة. ولم يجد الملك مندوحة من إذاعة الإعلان ذاته–كل يوم–على دقات الطبول، عسى أن يكون أحد الوافدين الجدد إلى المدينة قد زار مدينة الذهب وإلا أن الأيام إنقضت يوماً بعد يوم ولم يتقدم إليه أحد!.

***

وفي تلك الأثناء، كان الشاب البرهمي«ساكتيديفا»–الذي طردته الأميرة شر طردة يحدث نفسه قائلاً: «أن أكذوبتي لم تنطل عليها، ولم تؤد إلا إلى إحتقار الأميرة لى وخسارتي إياها!.. لذلك يجب أن أسعى لإصلاح هذا الخطأ، وأن أعمل الفوز بها عن جدارة!.. إنني سأجول على

ظهر الأرض حتى أعثر على هذه المدينة أو أهلك دونها!.. فما جدوى حياتي الآن؟ أما إذا تكلل سعيي بالنجاح، فسيكون بوسعي أن أعود لأطلب يدها، مكافأه لي على المغامرة التي قمت بها!».

وبدأ الشاب رحلته من مدينة«قاردهامانا». مولياً وجهه شطر الجنوب. ولم يلبث الرحالة أن وصل إلى الأدغال الكثيفة التي تقع في جبال«فاندهيا»العالية علو أمانيه وأحلامه! وسار في طريقه مخترقاً الشابة، وكانت الشمس تصليه بلهيبها، لكن النسيم العليل الذي كان يداعب أوراق الأشجار لطف الجو حوله.. وكانت تصل إلى أذنيه صيحات الألم الصادرة من الغزلان والظباء والقرود حين تفترسها الأسود وغيرها من الحيوانات الوحشية، وكأنما كانت الشابة تصرخ محتجة على نهب اللصوص ثرواتها!.. وفوق الصحراء الجرداء كان الهواء يهب عنيفاً، وقد بدت أغصان الأشجار كأنها تنحني تحت وقع السيال الفظيعة التي تسلطها الشمس عليها!.

وإستغرقت رحلته أياماً، قطع خلالها مسافة طويلة سائراً على قدميه خلال فلوات خلت من الماء تماماً، وتحيط به الأخطار من كل جانب. بيد أنه ما لبث أن صادف–في بقعة منعزلة بحيرة متسعة، تفيض بماء عذب، صاف.. وخيل إليه أن البحيرة لو دخلت مباراة بين البحيرات لفازت–بلا شك–بلقب ملكة البحيرات: كانت أشجار اللوتس تحيط بها، وفوق سطحها تسبح أوزات رشيقات تهز أذيالها في مرح وطرب! .. وعلى الفور خلع ملابسه وهبط إلى البحيرة ليتمتع بحمام منعش. و فيما

هو لاه ينثر رذاذ الماء من حوله وقد إستخفه عرب لا يليق برجل بالغ، لمح على الضفة الشرقية ديراً تحيط به أشجار ظليلة محملة بالفاكهة الشهية. فخرج من الماء متجهاً نحو الدير. وهناك شاهد راهباً كهلاً يدعى«سورياتاباس»جالساً أسفل شجرة«أزفاتا»وقد أحاط به رهط من النساك، وإزدانت أذناه بقرطين من الخرز، تمثل كل خرزة منهما قرناً من عمره.

فإنحنى«ساكتيديفا»أمام الراهب الذي رحب به عارضاً عليه ضيافته، ثم قدم إليه غداء يتألف من الفاكهة وبعض جذور الأشجار، وغيرها من طعام الغابات، حتى إذا فرغ من تناول غدائه سأله الراهب: «من أين أتيت يا بنى. وإلى أين تذهب؟»، فأجابه ساكتيديفا» قائلاً: «جئت من مدينة «فاردهامانا»، وقد آليت على نفسي بقسم رهيب أن أذهب إلى مدينة الذهب. غير أني لا أعلم الطريق إلى هذه المدينة. فإذا كنت تعرف موقعها أرجو أن تخبرني به!».

فقال له الراهب: «لقد عشت في هذا الدير ثمانية قرون، لم أسمع خلالها عن مدينة بهذا الإسم!»، وقد أسلمته إجابة الراهب لليأس والقنوط، فقال: إذن لم يعد أمامي سوى أن أقضي حياتي في التحول من مدينة إلى أخرى حتى أموت!».. ورثى الراهب لحال الفتى أفراح يستدرجه في الحديث حتى باح له بالقصة بحذافيرها. وعندئذ قال له الراهب: «على بعد ثلاثمائة فرسخ من هنا تقع دولة «كاميليا»، وفي هذه الدولة تجد جبل«أوترا»، وفوق هذا الجبل دير، وفي هذا الدير يعيش

أخي الأكبر«ديرجاتاباس». فإذهب إليه. إنه أكبر مني سنا، ومن ثم قد تكون لديه معلومات عن هذه المدينة!».

وعندئذ لاح له بصيص من الأمل، فإنطلق إلى حيث وصف الراهب. وبعد أن قطع شوطاً كبيراً من رحلته–إجتاز خلاله أدغالاً كثيفة، مليئة بالأخطار–وصل وقد بلغ به الإجهاد مبلغه إلى دولة «كامبيليا». وهناك شرع من فوره في تسلق جبل «أوترا».. وما لبث أن عثر على الراهب«ديرجاتاباس»–معتكفاً في ديره–فوق قمة الجبل، فإنحني أمامة بإحترام وعرض عليه القديس ضيافته، فإمتلأ فؤاده فرحاً، وقال: «يا سيدي المبجل. لقد خرجت في رحلة قاصداً مدينة الذهب. وهي المدينة التي سمعت بإسمها من أميرة بلادنا. وقد أقسمت قسماً–لارجوع فيه– أن أعثر على هذه المدينة. وقد أوفدني الحكيم «سورياتاباس»إليك، كي تدلني عليها!.. فأجاب الراهب: «طوال كل القرون التي عشتها من حياتي، هذه أول مرة أسمع فيها من هذه المدينة.. ولم يخبرني أحد من السياح المتجولين–الذين طالما شرفوني زيارتهم–بشيء عنها. أن إسم هذا المكان لم يطرق سمعي من قبل اليوم، ولم يقع نظري عليه أبداً. ولابد أنها مدينة نائية جداً.. ولعلها تقع في جزر«أرشيبيلاجو»..وبوسعي أن أدلك على الطريق إليها:

«في وسط المحيط توجد جزيرة تدعي«أتستالا».. وفي هذه الجزيرة يعيش«ساتيافارتا»،وهو رئيس قبيلة من صياد الأسماك، وقد أوتي ثراء واسعاً. وهو يسافر كثيراً إلى جميع جزر«أرشيبيلاجو»، فعساه يكون

قد رأى هذه المدينة، أو على الأقل سمع عنها، فعليك أن تذهب أولاً– إلى ميناء«فيتانكابورا»، ومن هناك

تستقل سفينة إلى جزيرة«أتستالا»حيث تعيش قبائل الصيادين!».

وشكر«ساكتيديفا» القدس على نصيحته ثم غادر الدير.. ومرة أخرى قطع مئات الفراسخ، مجتازاً بلدانا مختلفة، حتى وصل–أخيراً–إلى ميناء«فيتانكابورا»، الذي يقع كطابع الحسن على جبين الشاطيء!.. وهناك صادف تاجرا إسمه«ساموداراتا»، وسرعان ما توثقت الصداقة بينهما. وقد دعم التاجر صداقتهما بهدايا من مختلف أنواع الطعام أغدقها على البرهمي ثم أركبه سفينته.

وفيما كانت السفينة تشق عباب المحيط، ولم يعد بينهما وبين هدفهما سوى مسافة قصيرة، هب فجأة مارد من السحب والمواصف، أسود اللون، يلعق شفتيه بلسان من الأرند، مطيحاً بالأشياء الخفيفة عالياً، وهابطاً بالأشياء الثقيلة إلى أسفل، وكأنه القدر ذاته!.. وشبت في المحيط أمواج عالية، تدفعها قوة العاصفة، كأنها جبال تحوم فوق البحر مرفرفة بجناحيها!.. وكانت السفينة تهبط إلى أسفل ثم تصعد إلى أعلا، تشبه في ذلك حال الأثرياء من هبوط وإرتفاع! ولم تلبث أن قفزت في الهواء، وصرخات الفزع تتردد بين جنباتها، ثم إنفجرت وتحطمت إلى أشلاء صغيرة. وقد تمكن«سامودارداتا»–صاحب السفينة من السباحة

متعلقاً بقطعة من الخشب كانت تطفو فوق الماء، ولم يلبث أن إنتشلته سفينة عابرة.

أما«ساكتيديفا» فقد سقط في فم حوت ضخم كان يتثاءب، فإنزلق في حلقومه ووصل إلى معدته!.. وقد شاء القدر أن يسبح الحوت متجهاً صوب جزيرة«أتستالا». كذلك شاء القدر ذو النزوات أن ينصب خدم ملك الصيادين«ساتيافراتا»شباكهم في المنطقة التي وصل إليها الحوت فلم يلبث أن وقع في شراكهم. وقد بوغتوا إذ شاهدوا فخامة الحوت، فحملوه إلى الملك الذي أمر بشق بطنه، وإذا«ساكتيديفا» يخرج من جوف الحوت حياً، وفي صحة جيدة وكأنه ولد من جديد!.

فلما زال روع الملك سأل الشاب قائلاً: من أنت؟ وكيف وصلت إلى بطن هذا الوحش المفترس؟ من أين أتيت أيها البرهمي العجيب؟ وما هي المغامرات الرائعة التي خضتها؟»،

فأجاب الشاب بقوله: «أنني أدعي «ساكتيديفا»، من بلدة «فاردهامانا». وقد أقسمت أن أزور مدينة تدعي مدينة الذهب. ولما كنت لا أعرف الطريق إليها، رحت أجول حتى بلغت أطراف الأرض القاصية. وقد علمت من راهب يدعي«ديرجاتاباس»أن هذه المدينة لابد أن تكون في إحدى الجزر. ومن ثم ركبت سفينة ورحت أبحث عن جزيرة«أتستالا»، لكي أستفسر من الملك«ساتيافراتا»–ملك الصيادين–

عن موقع المدينة. لكن العاصفة أغرقت السفينة، فغصت إلى أعماق المحيط، حيث ابتلعتني السمكة الرهيبة.. وها أنا ذا أمامك!».

فأجاب الملك: «أنا هو«ساتيافراتا»، وهذه الجزيرة هى التي تقصدها. لقد شاهدت–في حياتي–سدنا لا حصر لها، ولكن المدينة التي تبحث عنها لم يقع بصري عليها أبداً، غير أنني سمعت عن مثل هذا المكان، ويقال أنه في أطراف جزيرة«أرشيبلاجو» .. لكنه ما أن شاهد خيبة الأمل التي إرتسمت على قسمات الشاب حتى إستطرد قائلاً: «ولكن، لا تدع اليأس يتسرب إلى فؤادك، أيها البرهمي. أمكث معنا الليلة وفي صباح الغد سأجد وسيلة تبلغك مقصدك!».

وبهذه الكلمات المشجعة أرسل ملك الصيادين البرهمي الشاب إلى أحد الأروقة، حيث لقى فيه ترحيباً حاراً من برهمي آخر كان يقطن الرواق، إسمه«فيشنوداتا». وجلس«فييشنوداتا»إلى المائدة يراقب ضيفه وهو يتناول طعامه بشهية عارمة، وراح يجاذبه أطراف الحديث، حتى إذا فرغ الشاب من تناول طعامه، وجه إليه مضيفه وابلا من الأسئلة عن وطنه وأسرته وظروفه، فباح له«ساكتيديفا»بكل شيء. فما أن سمع«فيشنوداتا»قصته، حتي ألقى بذراعيه حوله محتضناً إياه في ود ظاهر، ثم هتف بصوت إختلط بنشيج البكاء قائلاً: «أوه. مبارك أنت. إنك ابن خالي!.. لقد جئت من نفس بلدتك، منذ زمن طويل، وأنا بعد طفل. يجب أن تمكث معي هنا، ولن يطول بك الوقت حتى تعرف أين

تقع هذه المدينة، من البحارين والتجار الذين يفدون بلا إنقطاع من جزر «أرشيبلاجو»!.

ولما تأكد«فشنوداتا»من صلة القرابه التي تربط بينهما، غمر ابن خالة الشاب بشتى مظاهر الضيافة، حتى لقد نسى«ساكتيديفا»العناء الذي لاقاه في رحلته، وإمتلأ فؤاده غبطة لعثوره على قريب له من ذلك البلد النائي، وكأنما قد عثر على قربة من خمر الآلهة في وسط صحراء جرداء!.. فساده إحساس بالتفاؤل وأدرك أنه–لا محالة–واصل إلى بغيته.. ذلك لأن حسن الطالع الذي وفقه إلى العثور على قرنيه، كفيل بأن تنبت طالعاً حسناً على طول الطريق؟.

***

وفي صباح اليوم التالي، إلتقى«ساتيافراتا، ملك الصيادين»، «بساكتيديفا» في الدير. وإذ كان صادق.

فهرعت«فاتنة»إلى السطح، وإذا بها ترى رجلاً على هيئة الإله «فيشنو»يمتطي طائراً ضخماً، وبحلق به في السماء.

العزم على تنفيذ وعده الذي قطعه في الليلة السابقة، قال له:

«أيها البرهمي. لقد خطرت لي خطة لتحقيق بغيتك: في وسط المحيط توجد جزيرة جميلة إسمها«راتناكوتا»وفي هذه الجزيرة معبد شهد له المحيط لعبادة الإله«فيشنو». وقد إعتاد سكان الجزيرة إقامة إحتفال

في ذلك المعبد، يتوافد إليه الحجاج من جميع جزر«أرشيبلاجو». ولابد أن يكون من بينهم واحد سمع بمدينة الذهب. هلم نذهب سوياً إلى هناك، فإن يوم الإحتفال قد إقترب!».. وقابل «ساكتيديفا» إقتراح الملك بفرح وغبطة، ولم يلبث ابن خاله أن أمده بمعدات الرحلة.

وإستقل الإثنان قارباً صغيراً، وكان الملك يمسك الدفة حين خرج بهما القارب إلى عرض المحيط وإجتازا في رحلتهما خليج«كنوز الأعاجيب»، فمن كان يؤمن بالحيتان الشبيهة بالجزر الطافية. وسأل«ساكتيديفا»ملك الصيادين الممسك بالدفة: «ما هذا الشيء الفاتن الذي يبدو في الأفق البعيد، والذي تبرز قمته فوق المياه؟ أنه يلوح كجبل شاهق له جناحان، يستطيع إذا فردهما أن يخرج من أسفل الماء!» .. فأجابه«ساتيافراتا» قائلاً: هذه شجرة«باتيان»السماوية. ويقول الناس إنها ذات جذور عريضة تمتد إلى النيران المشتعلة في أعماق البحر!.. يجب أن نبتعد منها وإلا لقينا حتفنا، فليس لنا نجاة إذا إشترك القارب بأغصانها!».

وفيما كانا يتحدثان، إذا برج عاصفة تهب على القارب وتدفعه نحو مكان الخطر. فصاح الربان قائلاً: «لقد حلت نهايتنا أيها البرهمي، ما من شك في ذلك. إنظر. لقد إنحرف القارب في إتجاه الشجرة الملعونة، ولا أستطيع أن أزحزحه بعيداً عنها قيد أنملة. ولن تلبث أن تجدنا بين فكى الدوامة التي لا قاع لها، والتي تفغر فاها–وكأنه فم الموت–لإبتلاعنا. ولست أهتم بما يحدث لي، فما من إنسان كتب له الخلود في هذا

العالم، ولكن الأمر الذي يحزنني هو أنك–برغم كل ما بذلت من جهد وعناء لن تبلغ هدفك!.. بيد أنني سأتشبث بالقارب ما إستطعت ذلك، وعليك أنت أن تحاول التعلق بأحد فروع الشجرة وستتيح لك قوة بنيتك فرصة للنجاة والتغلب على أهواء القدر وأمواج المحيط!».

وقبل أن يفرغ«ساتيافراتا»من قوله: كان القارب يندفع بسرعة رهيبة نحو الشجرة. وقد إستمد «ساكتيديفا»، من فزعه قوة، فقفز من القارب وقبض بيديه على أحد غصون شجرة المحيط. أما «ساتيافراتا»فقد ضحى بنفسه لأجل ضيفه، وسرعان ما كانت نيران أعماق البحار تصهره في أتونها!

ولما وجد«ساكتيديفا»نفسه بمنجى عن الخطر، متعلقاً بأحد فروع الشجرة الشامخة نحو السماء، راح يناجي نفسه في يأس قائلاً: أنني لم أر بعد مدينة الذهب وقد تسببت في هلاك ملك الصيادين، والآن قد جاء دوري لأهلك أنا كذلك!.. لكن القضاء مكتوب على جبين البشر، فمن

يستطيع أن يهرب مما سطر له في لوح القدر؟».. وقضى الشاب طول يومه مستغرقاً في مثل هذه الأفكار التي تراود المرء وهو على شفا الموت.

وعند ما أرخي الليل سدوله، لمح«ساكتيديفا»حشداً من الطيور الضخمة تأتي من كل صوب، وأصوات نعيقها تملأ السماء.. ثم هبطت

فوق الشجرة، فإستقبلتها أمواج المحيط كما يستقبل المرء أصدقاءه القدامى. ومالبث«ساكتيديفا»–وهو مختف أسفل غطاء تقيل من أوراق الشجرة–أن سمع الطيور تتحدث بلغة البشر، وقد راح كل منها يخبر الآخر أين قضى يومه!.. فهذا في جزيرة، وذاك في جبل أو في ناحية من نواحي السماء!.

وقال أحد الطيور، وهو طائر كبير السن: «لقد ذهبت اليوم إلى مدينة الذهب لأقضي هناك وقتاً هانئاً. وغداً سأعود إلى هناك مرة أخرى، فلم أعد أتحمل بعد مشقة الطيران الطويل!».. ونزلت كلمات الطير برداً وسلاماً على قلب«ساكتيديفا»، وكأنها رشفات من خمر الآلهة، فأزاحت الغمة عنه وبددت من قلبه اليأس، ومن ثم راح يحدث نفسه قائلاً: «لقد نجوت!.. لقد تأكدت الآن أن لهذه المدينة وجوداً، ولم يبق أمامي سوى الوصول إليها.. لماذا لا أستخدم هذا الطائر الفخم مطية لي؟».. وأخذ ينتقل من فرع إلى آخر مقترباً من الطائي، حتى إذا إطمان إلى أنه قد أخذه سنة من النوم، تسلق ظهره ثم إندس بين جناحيه؟.

وفي اليوم التالي، بدأت الطيور تحلق في السماء، فنهض طائر«ساكتيديفا» وفرد جناحيه ثم حلق بدوره–وكأنه يد القدر–في الفضاء، تدفعه قوة جناحيه الهائلين،حاملاً«ساكتيديفا» فوق ظهره. حتى إذا وصل إلى مدينة الذهب هبط في حديقة وارفة الظلال، فنزل«ساكتيديفا»، بهدوء عن ظهره، ثم إنطلق متسكعاً على غير هدى. و فجأة لمح إمرأتين تقطفان زهوراً من الحديقة، فإقترب منهما حذراً

ومالمحناه حتى إجفلتا فزعتين، بيد أن«ساكتيديفا»تقدم إليهما متسائلاً: «ما إسم هذه المدينة؟.. ومن تكونان؟».

–هذه مدينة الذهب، عاصمة مملكة الأرواح. وتحكمها ملكة من الجن إسمهاكاندابرابها. ونحن بستانيتان في حديقتها هذه، أيها الصديق. وقد خرجنا لنقطف لها بعض الزهور»، فقال لهما: «تكرما بقيادتي إلى حيث أمثل بين يدي مولاتكما».

وصحبت المرأتان الشاب إلى القصر الملكي، الذي كان بمثابة مكان تتجمع فيه كل ملذات الدنيا.. فقد كانت جدرانه موشاة بالذهب وأعمدته محلاة بأنفس أنواع الأحجار الكريمة. فلما شاهد الخدم الشاب يقترب من القصر، هرعوا إلى سيدتهم الملكة«كاندرابرابها»، معلنين حضور رجل من الأنس، وعلى الفور أمرت الملكة وصيفاتها أن تفتحن له الأبواب، فلما دخل راحت عيناه تلتهمان جمالها الصاعق، الذي لا شك في أن الخالق قد بذل في صياغته كل ما لديه من قدرة علوية!.

ونهضت الملكة–في دلال–عن مقعدها الموشي بالجواهر، وإستقبلته إستقبالاً كريماً، وهي ترمقه بنظرات تتم على أن ملاحة طلعته قد خلبت لبها!.. ولم تلبث أن سألته قائلة: «من عساك تكون أيها الأنسي الوسيم؟.. وكيف إستلمت الوصول إلى هذه المدينة المحظور على جميع الكائنات البشرية إجتيازها؟ .. فقص عليها«ساكتيديفا قصته بحذافيرها.. حكي لها كيف عرض حياته للتهلكة في بحثه عن مدينة

الذهب: وكيف بلغها، والمخاطر التي صادفها في الطرق إليها، واستمعت اليه الملكة بذهن شارد، مستغرقة في أفكارها. ثم إلتفتت إليه فجأة، وقالت له بلهجة تقطر ودا:

* * *

أمـــواج المحـــيط كمـــا يســـتقبل المـــرء أصـــدقاءه القـــدامي. ومالبث«ساكتيديفا»—وهو مختف أسفل غطاء تقيل من أوراق الشجرة أن سمع الطيور تتحدث بلغة البشر وقد راح كل منها يخبر الآخر أين قضى نومـه!.. فهـذا فـي جزيـرة، وذاك فـي جبـل، أو فـي ناحيـة مـن نـواحي السماء!.

وقال أحد الطيور، وهو طائر كبير السن: «لقد ذهبت اليوم إلى مدينة الذهب لاقضى هناك وقتاً هانئاً. وغداً سأعود إلى هناك مرة أخرى، فلم أعد أتحمل بعد مشقة الطيران الطويل!.. ونزلت كلمات الطير برداً وسلاماً على قلب«ساكتيديفا»، وكأنها رشفات من خمر الآلهة، فأزاحت الغمة منه وبددت من قلبه اليأس، ومن ثم راح يحدث نفسه قائلاً: «لقد نجوت!.. لقد تأكدت الآن أن لهذه المدينة وجوداً، ولم يبق أمامي سوى الوصول إليها.. لماذا لا أستخدم هذا الطائر الفخم مطية لي؟».. وأخذ ينتقل من فرع إلى آخر مقترباً من الطائر، حتى إذا إطمأن إلى أنه قد أخذته سنة من النوم، تسلق ظهره ثم إندس بين جناحيه!.

وفـي اليـوم التـالي، بـدأت الطيـور تحلـق فـي السـماء، فـنهض طـائر«سـاكتيديفا»وفـرد جناحيـه ثـم حلـق بـدوره–وكأنـه يـد القـدر–فـي الفضاء، تدفعه قوة جناحيه الهائلين، حاملاً«ساكتيديفا» فوق ظهره. حتى إذا وصـل إلـى مدينـة الـذهب، هـبط فـي حديقـة وارفـة الظـلال، فنزل«ساكتيديفا» بهدوء عن ظهره، ثم إنطلق متسكعاً على غير هدي. و فجـأة لمـح إمـرأتين تقطفـان زهـوراً مـن الحديقـة فـإقترب منهمـا حـذراً ومالمحناه حتى أجفلتا فزعتين، بيد أن«ساكتيديفا»تقدم إليهما متسائلاً: «ما إسم هذه المدينة؟ .. ومن تكونان؟»

– هذه مدينة الذهب، عاصمة مملكة الأرواح. وتحكمها ملكة من الجن إسمها«كاندابرابها». ونحن بستانيتان في حديقتها هذه، أيها الصديق، وقد خرجنا لنقطف لها بعض الزهور!»، فقال لهما: «تكرما بقيادتي إلى حيث أمثل بين يدي مولاتكما».

وصحبت المرأتان الشاب إلى القصر الملكي، الذي كان بمثابة مكان تتجمع فيه كل ملذات الدنيا.. فقد كانت جدرانه موشاة بالذهب، وأعمدته محلاة بأنفس أنواع الأحجار الكريمة. فلما شاهد الخدم الشاب يقترب من القصر، هرعوا إلى سيدتهم الملكة«كاندرابرابها»، معلنين حضور رجل من الأنس، وعلى الفور أمرت الملكة وصيفاتها أن تفتحن له الأبواب، فلما دخل راحت عيناه تلتهمان جمالها الصاعق، الذي لا شك في أن الخالق قد بذل في صياغته كل ما لديه من قدرة علوية!.

ونهضت الملكة–في دلال–عن مقعدها الموشي بالجواهر، وإستقبلته إستقبالاً كريماً، وهي ترمقه بنظرات تنم على أن ملاحة طلعته قد خلت ليها!.. ولم تلبث أن سألته قائلة: «من عساك تكون أيها الانسي الوسيم؟.. وكيف إستطعت الوصول إلى هذه المدينة المحظور على جميع الكائنات البشرية إجتيازها؟».. فقص عليها«ساكتيديفا» قصته بحذافيرها.. حكى لها كيف عرض حياته للتهلكة في بحثه عن مدينة الذهب، وكيف بلغها، والمخاطر التي صادفها في الطريق إليها. وإستمعت إليه الملكة بذهن شارد، متفرقة في أفكارها، ثم إلتفتت إليه نجاة، وقالت له بلهجة تقطر ودا :

«انصت إلى الآن، وسأحكي لك قصتي يا حبيبي.. أن الذي يتولى الحكم في هذه الدولة هو الملك«ساسيكهاندا»، أو فضة القمر.. وقد رزق هذا الملك بأربع بنات، أكبرهن أنا وإسمى«كاندرابرابها»، أي القمر المتوهج، والثانية إسمها«كاندراريكها»: أي قلقة القمر والثالثة إسمها

«ساسبريكها»، أي لمسة التمر، والرابعة إسمها«ساسيبرابها»، أي القمر المضيء!.. وقد نمونا وترعرعنا معا. وذات يوم خرجت أخواتي الثلاث إلى نهر«الجانجز»، كي يغتسلن، بينما بقيت أنا بالمنزل منهمكة في الدعاء للآلهة بأن ترزقني زوجا.

«وكان أحد الرهبان–ويدعي«أجرياتاباس» يتطهر من آثامه في النهر، بينما كانت أخواتي تلهون في الماء في مرح، شأنهن شأن مثيلاتهن

من الشابات العذاري. وإذا بعض رذاذ الماء يصيب الراهب، فإستشاط غضباً ولعنهن قائلاً: «أيتها الفتيات الشريرات. ستولدن جميعكن من جديد في عالم البشر الفانين!».. فلما بلغ أبي ما حدث، ذهب إلى الراهب مناشداً أباه أن يرحمهن، لكن الراهب ضرب بتوسلاته عرض الحائط!.

«وأخيراً إستفسر منه أبي عن الظروف التي تزول فيها هذه اللعنة عنهن، فقال الراهب العظيم أنهن حتى في هيئتهن البشرية الجديدة سيملكن القدرة على تذكر حياتهن القديمة، كما يحتفظن بما للجان من حكمة.

وبالفعل. بارحت أرواح أخواتي أجسادهن ونزلت لتعيش في عالم البشر الفانين، وقد حزن أبي لفراقهن حزناً عظيماً فتنازل لي عن العرش، وذهب ليعيش في الغابة. ومنذ ذلك الوقت صرت أنا الملكة،

«وذات يوم، ظهرت لي الآلهة الأم في الحلم قائلة: «سيكون لك–يا ابنتي– زوج من عالم الإنس!».. ومن ثم رفضت جميع الذين تقدموا إلي من عالم الجان، مما زاد من هموم أي وأحزانه. وقد ظللت عذراء حتى يومنا هذا مترقبة حضور ذلك الزوج الموعود. وهاأنذا الآن أجد نفسي أسيرة جمالك الباهر، ورجولتك العارمة، وشجاعتك التي بدت في إجتيازك المخاطر والصعاب. ومن ثم سأكون لك منذ اليوم، وفي اليوم الرابع عشر من القمر سأتسلق إلى قمة جبل«رشابها»لكي

أخبر أبي بالأمر. ففي مثل هذا اليوم من كل عام، يجتمع هناك جميع رعايا مملكة الجان، ليقوموا بطقوس العبادة للإله«سيفا». وعندما أعود يجب أن تتزوجني!».

وبعد ذلك، أكرمت«القمر المتوهج»وفادته، وقدمت إليه ألذ وأشهى أنواع الطعام والشراب الذي يصنع خصيصاً السكان مملكة الجان، وقد وافق«ساكتيديفا على هذا الإقتراح بينما كان فؤاده يرقص طرباً. وعاش يرتع في سعادة تحكي سعادة الرجل الذي لمسته عصا سحرية فغطس في بركة من خمر الآلهة!.

وعند ما حل اليوم الرابع عشر من القمر قالت له الملكة: «سأذهب اليوم إلى أبي لأخبره بأمرنا، وسأصحب معي جميع خدمي. بيد أنه لا يجدر بك أن تحس بالتعاسة لتركي إياك وحيداً فترة من الزمن، إذ أن بوسعك أن تستمتع بكل ما يقع في يدك من وسائل الراحة ولكن، إياك أن تطأ قدماك الطابق الأوسط، بأية حال من الأحوال!.. و عندما غادرت«القمر المتوهج»القصر: تركت قلبها وديعة لدى الشاب الذي استولى على أفكارها!.

***

ولم يجد«ساكتيديفا» وسيلة لشغل وقته أفضل من التنقل من غرفة إلى أخرى من غرفها المزودة بكل وسائل الرفاهية، وهو يتسائل عن السبب الذي حدا بالملكة أن تحظر عليه ولوج الطابق الأوسط. وأخيراً

لم يستطع أن يكبح فضوله، فصعد الدرجات المؤدية إلى ذلك الطابق.. ذلك لأن ذهن المرء يتجه دائماً إلى الأشياء الممنوعة وقد تبين له أن ذلك السابق كان يتألف من ثلاثة أجنحة

منفصلة، و قد أغلق إثنان منها. أما الجناح الثالث فقد ترك بابه موارباً، فدفعه بيده.

وفي داخل الجناح وقع بصره على هيكل إمرأة ملفوف في ملاءة، مستلقياً على فراش موشي بالجواهر الكريمة.

حتى إذا رفع طرف الأمة، وقف مذهولاً وقد طالعه وجه الأميرة«كاناگاريكها»..التي تركها في مدينة «فاردهامانا.. وكانت ترقد ميتة!.

وراح«ساكتيديفا» يناجي نفسه قائلاً: «ماهذه المعجزة العجيبة.. هل تراها نعسانة أم مستسلمة للنوم الذى لا يقفلة بعده؟.. أم لعلي واهم، وخيالي يلعب بي؟.. هاهي ذي ترقد ميتة، تلك المرأة التي تركتها—حين قيمت برحلتي—حية ترزق. لكن جمالها لم يذبل بعد، فهل تراها توبة من الهذيان شاء القدر أن يبلبل لها أفكاري؟!».. ولم يلبث أن غادر هذا الجناح ودخل الجناحين الآخرين.. فإذا في كل منهما فتاة ترقد فوق سرير.. ميتة! .. ثم خرج إلى الشرفة وقد أخذت منه الدهشة كل مأخذ، حتى إذا نظر إلى أسفل شاهد بركة صغيرة فاتنة، وقد وقف على ضفتها

جواد مطهم ذو سرج من اللآليء، فهبط مقتربا–في فضول–من الجواد. وإذ لم ير أحداً بجواره، إنتابته

رغبة في إمتطائه. ولكنه ما أن بدا يحاول ذلك حتى ركله الجواد فسقط في البركة وغاص في الماء. فراح يجاهد ليطفو، لكنه حين إستطاع أن يرتفع إلى أعلى، وجد نفسه في المدينة التي بدأ رحلته منها– مدينة«فاردهامانا»– وقد غاص في مياه البركة التي في حديقة منزله!.

***

وعندئذ أدرك«ساكتيديفا»أن الأقدار قد حرمته من عروسة«القمر المتوهج»، فخبأ ضياء وجهه كزهرة الليل التي بذلها ضوء الشمس. وراح يصيح قائلاً:«فاردهامانا ؟ .. فاردهامانا؟ .. أأجد نفسي في«فارداهامانا»، بعد أن كنت في مدينة الجان.. ما معنى هذه الألاعيب السحرية.. ويحي أنا البائس المسكين! لقد غرر بي. ولكن ، من الذي يدرك الحكمة في تصاريف القدر؟».

وخرج«ساكتيديفا»، من البركة وذهب إلى منزل عمه، متظاهراً أمامه بأنه قد إضطر إلى التجول في أنحاء البلاد كطبال، بعد أن خسر ثروته في القمار: وسر عمه وعائلته بعودته وأقاموا المآدب إحتفالاً به.

وفي اليوم التالي غادر منزل عمه، وذهب إلى المدينة، حيث سمع–مرة أخرى–المنادين يصيحون بالإعلان القديم: على صوت دقات

الطبول: «إذا كان من بينكم من زار مدينة الذهب–برهمياً كان أو نبيلاً– فليتقدم، وسيمنحه الملك إبنته وعرشه!».

وإتجه«ساكتيديفا» إلى الطبال، وقال له: «لقد رأيت مدينة الذهب!».. فلما قادوه إلى الملك عرفه وأعتقد أنه يكذب في هذه المرة كما كذب من قبل. فقال له الشابة«أنني مستعد لأن تقتلني لو ثبت أنني أكذب. دع الأميرة

تستجوبني!».. وأرسل الملك خدمة ليستدعوا الأميرة فما وقع بصرها على البرهمي حتى قالت لأبيها: «أن الفتى تكذب ثانية يا أبي!».

فقال ساكتيديفا: « أنني أقول الصدق، ولو أنني كنت أكذب نفشرحي لي هذا الأمر العجيب: كيف يمكن أن أراك راقدة في فراشك ميتة في مدينة الذهب، ثم أراك–الآن–هنا تتمتعين بالصحة والعافية؟».. وكان ذلك السؤال هو الدليل على صدق الفتى، فإلتفتت الأميرة إلى أبيها قائلة: «حقا لقد زار هذا الرجل النيل مدينة الذهب يا أبي. وسيغدو زوجي عندما أعود إلى هناك. كما أنه سيتزوج أخواتي الثلاث، وسيتولى الحكم في المدينة، وسيكون صاحب أكبر سلطان في مملكة الجان. والآن سأعود إلى المدينة، وإلى جسدي الحقيقي. لقد ألقى راهب على شخصيتي الأولى لعنة جعلتني أولد من جديد في هذا المنزل. لكنه وضع شرطاً لزوال هذه اللعنة: فما أن يقع بصر إنسان من عالم الأنس على جسدي في مدينة الذهب ثم يعود ليخبرني بذلك في عالم الزائلين، حتى

تنزاح اللعنة عني، ويغير ذلك الرجل زوجي. لقد كنت أعرف كل هذا وكنت أذكر كل تفاصيل حياتي السابقة!.. سأعود الآن إلى مملكة الجان، ليتحقق ما قدر لي من نصيب!.. وما إنتهت الأميرة من قولها هذا حتى غادرت جسدها، وإختفت عن أنظار الحاضرين وفعلت في القصر الملكي أصوات البكاء والعويل!.

***

وهكذا فقد«ساكتيديفا»زوجتيه كلتيهما، وقدمني بشر هزيمة، رغم أن جهوده ومحاولاته الخارقة للعادة كللت–في حد ذاتها–بالنجاح وحتى إذا إنتابه حنين وشوق إلى المرأتين اللتين شغف بهما: راح بوجه اللوم لنفسه فيها أصابه من خيبة وعذاب. ولكنه بينما كان يتمشى خارج النصر، خطر له فجأة خاطر، فحدث نفسه قائلاً: «لقد تنبأت الأميرة«كانا كاريكها»بأن النجاح سيكون نصيبي في النهاية. فلماذا– إذن– أفقد الأمل؟.. أن النجاح يتوقف على شخصية الإنسان، ولسوف أعود إلى مدينة الذهب، متبعاً ذات الطريق التي سلكتها في المرة الأولى، ولا ريب في أن القدر يكفل لي سبيل السلامة!».

ورحل«ساكتيديفا» عن«فارداهامان».. ذلك لأن الرجل الصادق العزم لا تثبط همته أية عقبات، ولا ينكص على عقبه في منتصف الطريق، بل يتابع سيره إلى النهاية!.. وبعد أن قطع «ساكتيديفا» في رحلته شوطاً طويلاً إستغرق شهوراً عديدة، وصل إلى ميناء«فيتانكابورا». وهناك لمح

بطريق الصدفة–ذلك التاجر الذي أبحر معه من قبل والذي تحطمت سفينته، فحدث نفسه قائلاً: هذا«سامودراداتا»كيف أمكنة النجاة بعد أن غاص في قاع المحيط؟.. ولكن، لاغرابة في ذلك، فأنا نفسي قد نجوت!».. حتى إذا إقترب من التاجر عرفه هذا على الفور، فإحتضنه بين ذراعيه، في غبطة، ثم صحبه إلى داره. وبعد أن بثه أشواقه، سأله: «كيف نجوت من الغرق بعد أن تحطمت السفينة؟». فأخبره ساكتيديفا بما حدث له: كيف إبتلعه الحوت، وكيف وصل إلى جزيرة«أتستالا»، ثم سأل بدوره التاجر الطيب كيف نجا، فأجابه الأخير: «بعد أن سقطت في أليم، ظللت ثلاثة أيام متعلقاً بلوح من الخشب. وفجأة لمحت سفينة تمر بجوارى فصحت، فلمحني البحارة وألقوا إلي بحبل ثم جذبوني إلى السفينة. وما أن إعتليت ظهرها حتى وقع بصرى على أبي، وكان عائداً من رحلة طويلة إلى جزر « ارشيبيلاجو ». فما رآنى حتى إحتضنني وبكى من فرط الفرح، ثم سألني عما حدث لي، فأجبته: « عندما غبت عنا مدة طويلة في رحلتك –يا أبتاه– حسبت أن من واجبي أن أتولى تجارتك من بعدك.. وفي رحلة إلى جزر « ارشيبيلاجو» غرقت سفينتي، وسقطت في البحر.. حتى أتيت أنت وأنقذتني! ».

«فقال لي أبي معاتباً: « لماذا تخاطر بحياتك في مثل هذه المغامرة غير المأمونة العواقب.. إنني ثري يا بني، وإنني لا أفتأ أزداد غنى. إنظر إلى هذه السفينة التي أحضراتها محملة بكتل الذهب ».. وهدأت كلماته من روعي، ثم عاد بي بسفينته إلى دارنا في « فيتانكابورا »!».

وقضى « ساكتيديفا» الليلة في منزل التاجر. وفي اليوم التالي قال له: «يا أمير التجار. إنني مضطر إلى الرحيل –ثانية– إلى جزيرة «ألستالا». وكل ما أطلبه منك هو أن تدلني على السسل إليها »، فأجابه قائلًا: «إن بعض وكلائي على وشك أن يقلعوا إلى هناك. وبوسعك أن تبحر معهم».

ورحل البرهمي معهم، ولم يلبث أن وصل إلى الجزيرة، فلمحه أبناء ملك الصيادين من بعيد، وشاء القدر أن يتعرفوا عليه. فقالوا له: «أيها البرهمي. لقد ذهبت مع أبينا، باحثاً عن مدينة الذهب. فكيف عدت بدونه؟ »، فأجابهم البرهمي بقوله: «لقد سقط أبوكم في اليم، بعد أن حطمت الأمواج الصاخبة سفينته بالقرب من نيران الأعماق ».. لكن أبناء الرجل لم يصدقوه، وإحتدم غضبهم فأصدروا الأوامر لخدمهم قائلين: « أوثقوا يدى هذا المجرم بالأغلال. لقد قتل أبانا.. وإلا كيف يبحر رجلان معاً، ويسقط أحدهما في نيران الاعماق وينجو الآخر؟.. غداً سنقدمه قرباناً أمام تمثال آلهة القسوة! ».

وقيد الخدم يدي البرهمي بالأغلال، ثم ألقوه في « زنزانة » رهيبة بمعبد ألهة القسوة، مع من سبقوه إليها، تمهيداً لتقديمهم قرباناً للآلهة التي إنتفخت بطنها بآلاف الضحايا، ولم تشبع بعد.. وكانت الزنزانة مكتظة بالعظام العارية من اللحم. وقضى فيها « ساكتيديفا» ليلته، يرسف في الأغلال، وقد فقد الأمل في التجاة. وفي غمرة بأسه ولوعته، دعا آلهة القسوة قائلًا: «أيتها الآلهة. يا ذات الفم الأرجواني بلون الشفق،

وكأنه لا يزال مخضباً بدماء المارد « رورو» الذي ذبحته.. يا من أنقذت العالم ذات مرة!.. يا مانحة البركات، وملبية الدعوات!.. أنقذيني، أنا أخلص عبادك وأكثرهم طاعة.. لقد جئت من بعيد باحثاً عن الحب، فإذا بي أسقط في براثن أولئك الذين أضمروا لي كراهية وحقداً بغير سبب!».

وما فرغ من صلاته حتي إستغرق في سبات عميق. وفي الحلم ظهرت له إمرأة –يبدو عليها الوقار والجلال– خارجة من «قدس أقداس » المعبد، وإقتربت منه ثم قالت له في عطف وحنان: «يابني ساكتيديفا. لا تخشى شيئاً، فلن يصيبك أذى. إن لأبناء ملك الصيادين أخت، اسمها « بيندوماتي ».. وغداً ستراك فتشغف بك حباً، وتشتهي أن تكون زوجاً لها.. ويجب أن توافق على الزواج منها، فهي التي ستعهد لك سبيل الخلاص. وهي –في الحقيقة– ليست إحدى فتيات الصيادين، ولكنها جنية من الجنيات سقطت عليها لعنة فصارت كذلك! ».

وفي الصباح، إستيقظ من نومه ليجد أمامه فتاة تقترب منه وقد تمثلت لعينيه الظامئتين كأنها كأس شهية مليئة بخمر الآلهة.. وبعد أن عرفته بنفسها قالت له بشغف: « سأطلق سراحك، إذا أنت نفذت رغبتي.. لقد رفضت من قبل جميع الخطاب الذين وافق أخوتي عليهم.. ولكنني، في اللحظة التي وقع بصري فيها عليك، أحببتك حباً ملك علي شغاف قلبي.. وها أنذا أمامك، ملك يديك.. فخذني! ».

وتذكر ساكنيديفا الحلم الذي رآه، فوافق في فرح على إقتراح « بيندوماتي»، وعندئذ أطلقت الفتاة سراحه. ولم يلبث أن تزوجها بموافقة أخوتها الذين ظهرت لهم –بدورهم– الآلهة الأم محذرة إياهم من معارضة مشيئة أختهم.. وعاش ساكتيديفا مع الجنية– التي إتخذت جسداً بشرياً– في سعادة وهناء لا يتوافران إلا كجزاء للذين تحلوا بأسمي الفضائل!.

***

وذات يوم، وقف الزوجان بطلان من شرفة منزلهما، فشاهدا –في الطريق– رجلًا يحمل قطعة كبيرة من لحم البقر، فإلتفت ساكتيديفا إلى محبوبته قائلاً: «إنظرى يا عروسي ذات الخصر النحيل.. كيف سمح هذا الشرير لنفسه يأكل لحم البقر الذي يقدسه الناس جميعاً في ثلاثة أركان العالم؟». فأجابته «بيندوماني»: «حقاً إنها لجريمة شنيعة!.. فإن قدرة البقر هي التي جاءت بي إلى قبيلة الصيادين، رغم أن خطيئتي بسيطة جداً..»، فقال ساكتيديفا: «يا للعجب!.. أخبريني يا حبيبتي: من تكونين؟.. وكيف جئت هنا؟»، وقد رفضت في باديء الأمر أن توضح له الأمر، ولكنه إذ ألح عليها بالسؤال، قالت له: « حسناً، سأقول لك كل شيء، على شريطة ألا تبوح بالسر لأحد وأن تنفذ كل ما أطلبه منك »، فأقسم لها أن يفعل ذلك.. وبدأت حديثها بما تريده أن يفعل، فقالت: « سنتخذ لك –في القريب– زوجة من الجزيرة. ولن تلبث هذه الزوجة أن

تحبل. فإذا كانت في شهرها الثامن، عليك أن تشق بطنها وتنتزع منها ثمرة أحشائها، دون رحمة ولا شفقة!».

وبوغت ساكتيديفا بذلك الطلب الغريب، وسألها في دهشة وفزع: « ماذا؟ »، لكن زوجته إستطردت قائلة : « وهناك بسبب وجيه لطلبي هذا. ولكن، إصغ إلي، سأخبرك –أولاً– ما الذي جاء بي بين الصيادين: لقد كنت –في حياة سابقة– إحدى الجنيات، ولم أكن لأعيش في مملكة الأنس، لو لم أقضم بأسناني –ذات يوم– قطعة من أمعاء البقر لأصنع منها وتراً لقيثارتي.. فإذا بي أهبط إلى مستوى البشر، وها أنذا أعيش اليوم بين الصيادين، لمجرد أن أسناني أصابت قطعة جافة من أمعاء بقرة، وقد نزلت إلى هذا الدرك المهين!!.. فأي عقاب يخبئه القدر –إذن– لذلك الذي يأكل لحم البقر، جهاراً نهاراً، دون وازع من خجل؟!».

وفيما كانت تقول له ذلك، أتي أحد أخوتها –راكضاً– إلى القصر، والرعب باد على وجهه، صائحاً: «إبتعدوا حالاً.. فقد إنطلق خنزير بري ضخم. وفي غضبه قتل عدداً كبيراً من الناس وهو متجه إلى هنا».. فأسرع ساكتيديفا وهبط من الشرفة، ثم إمتطى جواده، وإنطلق مندفعاً نحو الخنزير البري، هم ممسكاً برمح في يده، ثم أطلقه فأصابه إصابة مباشرة. فلما رأى الخنزير بطلًا بهاجمه أطلق سيقانه للريح، وما لبث أن إختفى في أحد الكهوف. لكن ساكتيديفا لم يقنع بذلك، ما وإندفع خلفه ليقضي عليه. وفيما هو يجتاز مغامرة شاسعة، وقع بصره على حديقة

متسعة يحيط بها سور خشبي، وفي داخل الحديقة قصر كبير.. فلما دخل إلى هناك وجد فتاة باهرة الجمال تركض نحوه في فرع، وكأنها حورية الغابة وقد هربت من إله الحب!.

فسألها قائلًا: «من أنت يا جميلتي؟ ولماذا أنت خائفة هكذا؟».

–أنا « بيندوريكها »، ابنة الملك « كاندرافيكراما» حامي البلاد يا سيدي الفاضل، وأنا عذراء. لكن مارداشربران، ذا عينين ناريتين، إختطفني اليوم –على حين غرة– من قصر أبي، وحملني إلى هنا. ثم إنتابته رغبة في إلتهام اللحم، فإتخذ هيئة خنزير بري، ولكن بطلا عاجله برمحه. وفي هذه الأثناء هربت، وأنا لا أزال عذراء!.

– إذن، فلماذا أنت مضطربة؟ أنا الذي أصبت ذلك الخنزير برمحي، أيتها الأميرة!.

–أخبرني من أنت؟

– أنا برهمي. واسمى « ساكتيدينا ».

–إذن، يجب أن تتزوجني!

–ليكن.. وسأفعل؟..

قال ساكتيديفا هذا. لهم قادها خارج الحديقة –خلال المغارة– إلى داره. وهناك أخبر زوجته « بندوماني » بما حدث، ثم حصل على موافقتها على زواجه من العذراء « بيندوريكها »!.. وفيما هو يعيش مع زوجتيه، حملت « بيندوريكها » طفلاً.. وفي الشهر الثامن من حملها، جاءت إليه زوجته الأولى، وقالت له في خلوة: « تذكر –يابطلي– الوعد الذي قطعته على نفسك. هذا هو الشهر الثامن منذ حملت « بيندوريكها »، فإذهب إليها، وشق بطنها، ثم إنتزع الجنين منها، فليس من شيم الرجال الحنث بالوعود! ».

وتصارعت في قلب ساكتيديفا عاطفتان متناقضتان: حبه لزوجته، وإرتباطه بالقسم الذي أدلى بها!.. ولم يجد بداً في آخر الأمر من التوجه إلى مخدع « بيندوريكها»، وقد عصر الأسى قلبه، فلما رأت زوجته الهم المرتسم على قسمات وجهه قالت له: « لماذا أنت حزين هكذا يازوجي العزيز؟.. أخبرني: أيرجع ذلك إلى أن «بيندوماتي» قد طلبت منك أن تمزق طفلي؟.. لكن هذا أمر لا مندوحة عنه، فإن وراءه حكمة لا تعرفها الآن، وليس فيه قسوة على الإطلاق. ومن ثم لا ينبغي أن تأخذك بي رحمة ولا شفقة!».

إلا أن ساكتيديفا ظل متردداً. وإذا بصوت من السماء يصل إلى أذنيه قائلاً: « يا ابني ساكتيديفا.. أخرج الجنين من رحم المرأة، ولا تخش شيئاً، إقبض على عنقه، وعندئذ سيتحول إلى سيف في يدك! ».

ولم يجد البرهمي مفراً من أن يطيع الأمر الصادر إليه من السماء، فبادر بشق بطن زوجته وأخرج منها الجنين، ثم قبض على عنقه بقبضته -كأنه يقبض على الحظ- وإذا بالطفل يتحول في يده إلى سيف!.. وفي ذات اللحظة تحول البرهمي إلى جني، وفي ذات اللحظة كذلك إختفت بندوريكها من أمامه.. فلما رأى أنها إختفت، هرع -بهيئته القديمة- إلى زوجته الأولى -ابنة ملك الصيادين- وأفضى إليها بما حدث، فقالت له:

« لقد كنا -يا زوجي العزيز- ثلاث أخوات، بنات ملك الجن. وقد طردنا من مدينة الذهب بسبب لعنة صبها علينا أحد الرهبان.. وقد ولدت أحدانا أميرة في مدينة « فاردهامانا » تحت اسم «كانا كاريكها ».. وقد رأيت بنفسك كيف إنزاحت عنها هذه اللعنة، فعادت إلى بلدها. ومنذ لحظة شهدت بنفسك النهاية العجيبة للعنة التي كانت تصيب « بيندوريكها». أما أنا فثالثة الأخوات، وقد جاء موعد خلاصي من لعنتي. وينبغي أن أعود الآن إلى بلدي يا حبيبي، فهناك ترقد أجسادنا التي كانت لنا في عالم الجن. كما أن أختنا الكبرى « القمر المتوهج » تنتظرنا هناك.. تعال معي في الحال -بقوة السيف السحري- إلى الغابة حيث يعيش أبي كأحد الرهبان. وسيعطينا جميعاً إليك كزوجات.. فضلًا عن أنه سيتنازل لك عن عرشه!».

ولما فرغت « بيندوماني» أخيراً من الإدلاء بقصتها الحقيقية، طارت مع ساكتيديفا -خلال ممرات السماء- إلى مدينة الذهب. وهناك شاهد ساكتيديفا أن الأجساد التي كان قد تركها ترقد ميتة في الأجنحة

الثلاث بالطابق الأوسط من القصر، قد دبت فيها الحياة!.. فلما إجتمع بزوجاته المحبوبات، جثون جميماً على الأرض أمامه. وكذلك فعلت أختهن الكبرى « القمر المتوهج »، التي إستقبلته أطيب إستقبال، وتركت عينيها تلتهمان رجولته ووسامة طلعته، بعد طول الفراق!.. وعندما دخل القصر أثار قدومه عاصفة من الهتاف والتهليل من الخدم والحجاب.

وقالت له «القمر المتوهج »: «ياسيدي الفاضل. هذه أختي « كاندراريكها» «فلقة القمر» التي عرفتها في مدينة « قاردهامانا » باسم الأميرة «كانا كاريكها ».. وهذه أختنا الوسطى ساسيريكها «أي لمسة القمر» إنني تزوجتها في جزيرة « انستالا » باسم « بيندوماني» ابنة ملك الصيادين.. أما هذه فأصغرنا ساسيبرابها، أي « القمر المضيء »، التي أصبحت زوجتك باسم «بيندوريكها »، بعد أن أنقذتها من المارد الذي إختطفها.. والآن. تعال معي لتقابل أبانا. « إذا ما وافق على زواجنا منك، إياك أن تؤخر مراسم الزواج!».

هكذا نطقت «القمر المتوهج » بلسان ملك الحب.. بلهفته وجرأته!.. وإنطلق ساكتيديفا في صحبتهن إلى الغاية حيث يعيش أبوهن. وعلى الفور ألقين بأنفسهن تحت قدميه، ونحن له بمكنون قلوبهن، ورغبة نفوسهن. وكان صوت من السماء قد أرشد ملك الحان إلى السبيل الذي عليه أتباعه في هذا الشأن، فلم يتردد في الموافقة مغتبطاً –على زوجهن من البرهمي الشاب. ثم تنازل له عن جميع مقتنياته وممتلكاته –التي لا

حصر لها- بالمدينة، كما أسبغ عليه كل ما أوتي من علوم وفنون. ولم يلبث أن أطلق عله « ساكتيديفا » اسماً جديداً يحمله في عالم الجن الذي صار الآن أحد أفراده.. فسماه « ساكتيفيجا».

والى ساكتيفيجا توجه الملك بحديثه قائلاً: « لن يستطيع أحد أن يقهرك. إلا أن أمبراطوراً سيبزغ من أسرة « فاتسا » العظيمة، يحمل اسم « نارافاهانادانا »، سيتسلط عليك، وله ستنحني! ».. فلما فرغ الملك العظيم « ساسيكهاندا» من إضفاء بركته على زوج بناته، أذن له بالإنصراف، وظل الملك بالغابة فترة من الزمن صائماً عن الطعام، مداوماً على الصلاة والعبادة، قبل أن يلحق بحاشيته في قصره الملكي.

ودخل ساكتيديفا مع زوجاته إلى مدينة الذهب، عاصمة مملكة الجان. وعاش هناك مستمتعاً بالقصور الرائعة -ذات الجدران المرصعة بالذهب- وبزوجاته الفاتنات، ذوات العيون المتألقة بضياء الحب، يقضي معهن وقته متنزهين في حدائق القصر الرائعة، ذات الدرجات المرصوفة بالأحجار النفيسة!.

زهرة العفة

يوجد في هذا العالم ميناء مشهور اسمه « تامر اليبتي ».

وفي هذا الميناء عاش تاجر ثري يدعى «دهاندانا »، وكان محروماً من الأبناء، وفي ذات يوم، إستدعى بعض الكهنة وطلب منهم أن يستخدموا نفوذهم لدى الآلهة لكي يرزقوه غلاماً. فأجابه الكهنة قائلين: «إن بغيتك هذه ليست عسيرة التحقيق، ففي وسع البرهميين أن يقوموا بأية معجزة، بواسطة تقديم ذبائح وقرابين معينة!».

وبالفعل تكللت جهود البرهمين بالتوفيق، فلم يلبث التاجر أن ولد له ابن أطلق عليه اسم «جوهاسينا». وبمرور السنين شب الابن وأصبح رجلاً، فقرر الأب أنه قد آن له أن يبحث لابنه عن زوجة تسدد السأم من حياته. ومن ثم أبحر مع ابنه إلى جزيرة (« أرشيبيلاجو »، لكي يبحث له عن زوجة هناك، إلا أنه تظاهر بأن التجارة كانت هدفه من هذه الرحلة!.

وفي جزيرة « ارشيبيلاجو »، طلب من شهبندر التجار «دهارماجوبتا» يد ابنته التي كان اسمها «ديفاسميتا » –ومعناه «التي إبتسمت لها الآلهة! »– لابنه « جوهاسينا».

بيد أن التاجر الكبير لم يوافق على هذا الطلب، إذ كان يحب ابنته حباً عارماً، ولا يطيق الإبتعاد عنها، لاسيما وأن الذي يطلب يدها بقيم في ميناء « تامر اليبتي »، الذي يقع على بعد أميال عديدة!.

لكن الابنة الفاتنة لم تكن من رأي أبيها، فما أن وقع بصرها على « جوهاسينا » حتى راق في عينيها، وخلت مزاياه وسجاياه لبها، فقررت أن تتزوج من هذا الشاب، ضارية عرض الحائط معارضة أبيها. ولم تلبث أن دبرت –عن طريق إحدى صديقاتها– لقاء مع محبوبها، لحق الاثنان –على أثره– بسفينة غادرت الميناء تحت جنح الظلام، حتى إذا وصلا إلى « تامر اليبتي » عقد زفافهما!.

وبعد عامين، مات أبو « جوهاسينا »، فورث هذا تجارته، وقرر أن يديرها بنفسه، ثم فكر في أن يقوم برحلة تجارية إلى جزيرة « سيام ». بيد أن « ديفاسميتا » لم تحبذ هذه الفكرة، إذ كانت شديدة الغيرة على زوجها، ومن ثم خشيت أن بقع في غرام إمرأة غيرها، وإحتار «جوهاسينا» بين مصلحته المادية ورغبة زوجته في بقائه إلى جوارها. وأخيراً إتفقا على أن يذهب الزوج إلى المعبد حيث يصوم عن الطعام، ويداوم على الإبتهال إلى إله المعبد أن يهديه إلى الطريق السوي!.. أما الزوجة فقد ظلت في المنزل، تصلي إلى الإله، طالبة ما يطلبه زوجها!.

وظهر الإله «سيفا » في الحلم لكليهما، وأعطاهما زهرتي « لوتس » حمراوين، ثم خاطبهما قائلًا: « يجب أن يحتفظ كل منكما بزهرة في

يده. فإذا إرتكب أحد كما جريمة الزنا وهو بعيد عن الآخر، ذبلت الزهرة التي في يد الآخر!».

وإستيقظ كلاهما، فإذا كل منهما يشاهد في يد الآخر زهرة «لوتس» حمراء تشبه قلب محبوبه!

***

وحمل «جوهاسينا» الزهرة، تم لحق بسفينته، بينما ظلت الزوجة في منزلها لا تكل من النظر إلى زهرتها، لكي تتحقق من أن زوجها لا زال أمينًا على عهدها. ووصل «جوهاسينا» إلى جزيرة «سيام»، حيث باشر أعماله في المتاجرة بالأحجار الكريمة. وقد أثارت الزهرة التي لم تكن تفارق يده فضول أربعة شبان أشقاء –هم أبناء تاجر من عملائه –حين رأوا أن الذبول لم يتطرق إليها أبداً. وبرغم إلحاحهم وتوسلاتهم، رفض الشاب أن يبوح لهم بسر الزهرة!

لكن أصدقاءه الماكرين لم يعلموا الحيلة، فاستدرجوه –ذات ليلة –إلى منزل أحدهم، ثم سقوه قدرًا كبيرًا من الخمر، حتى إذا ما لعب الشراب برأسه باح لهم بالسر. وإذ كانوا يعرفون أن تجارة الشاب في الأحجار الكريمة ستستغرق منه شهوراً طويلة، قرروا الإبحار إلى ميناء «تامراليبتي» –دون أن يخبروا أحداً بذلك –لكي يحاولوا التغلب على عفة زوجة «جوهاسينا»!

فلما وصلوا إلى هناك سعوا إلى مقابلة عجوز من اللاتي يعملن – في الظاهر –تاجرات متجولات بين البيوت، وإن كانت حقيقة مهنتهن هي التوفيق بين رؤوس الشبان المراهقين والزوجات اللاتي تلهي أعمال أزواجهن قلوبهم عنهن! واستقبلتهم العجوز بترحيب حار وأكرمت وفادتهم، ثم سألتهم عن بغيتهم، فأجابوها قائلين: «أيتها الأم المبجلة !.. إذا نجحت في تحقيق طلبنا، سنكافئك مكافأة مجزية!» ..

ولم تكن العجوز اللئيمة في حاجة إلى ذكاء كبير لتدرك طبيعة طلبهم، فقالت: «أغلب الظن أنكم تريدون مني أن أدبر لكم موعداً مع إحدى حسان المدينة. أخبروني من هي، ولن تعوزني الحيلة في إحضارها إليكم. ولست أنشد منكم –مقابل ذلك –مالاً ولا ذهباً، فقد منحتني الآلهة تلميذة نجيبة اسمها «سيدهيكارى» أغنتني شر الفاقة والعوز، وقد جمعت بفضلها ثروة طائلة! ».

فسألها أبناء التاجر قائلين: «هل لك في أن تسردي علينا كيف استطعت جمع هذه الثروة عن طريق تلميذتك؟»، فأجابت العجوز: «إذا كنتم حقاً مشتاقين إلى سماع هذه القصة، فلا أجد مانعًا من أن أقصها عليكم. أنصتوا:

* * *

«وفد إلى بلدنا من الشمال –منذ سنوات عديدة –تاجر ثري، كان ينفق بسخاء وبذخ، مما جعله ملتقى أبصار جميع غانيات المدينة، غير

أنهن فشلن جميعًا في لفت نظره. بيد أن تلميذتي «سيدهيكارى» تمكنت من ولوج عتبة داره، إذ التحقت بخدمته كوصيفة، حتى إذا اكتسبت ثقته، سرقت كل كمية الذهب التي يحتفظ بها في منزله، ثم تسللت هاربة عند الفجر. إلا أن طبالاً لمحها وهي تغادر المدينة، فاشتبه في أمرها، إذ كانت تسير بخطوات متعجلة تنم عن لهفتها إلى مغادرة المدينة، فسار في أعقابها وقد اعتزم أن يسرقها بدوره. وكانت «سيدهيكارى» قد وصلت إلى شجرة «بانيان»، كثيفة الأغصان، حين لمحت الطبال يسير خلفها، فأدركت على الفور النية التي كان يضمرها لها. بيد أن سرعة بديهتها وأتتها، فنادته في صوت ينبض لوعة وأسى، قائلة: «لقد تشاجرت مع زوجي، فهربت لكي انتحر. فهل لك – يا صديقي –أن تصنع لي من هذا الحبل عقدة ألفها حول عنقي!».

«فحدث الطبال نفسه قائلاً: «إذا كانت هذه المرأة تزمع الانتحار، فلماذا أقتلها بدي إذن؟».. ولم يلبث أن ربط الحبل في الشجرة، وصنع فيه عقدة، ثم صعد فوق طبلته ووضع رأسه داخل الحلقة وهو يقول لها: «هذه هي الطريقة!». وعلى الفور، ركلت «سيدهيكارى» بقدمها الطبلة فأطاحت بها بعيداً. وإذا الحلقة تلتف حول عنقه فتزهق روحه!

و«كان التاجر –الذي جردته «سيدهيكارى» من كل ثروته –قد خرج مع عدد من خدمه ليطاردوها. فما أن أقترب من الشجرة حتى لمح الغانية تقف بجوار جثة تتأرجح في الهواء، بيد أنها شاهدته بدورها، فتسلقت الشجرة واختبأت بين أغصانها، وما لبثت أن اختفت عن

الأنظار. فتساءل التاجر قائلاً: «أتراها قد تسلقت الشجرة؟»، ثم أمر أحد خدمه بالصعود خلفها، فلما وصل الخادم إلى أعلى الشجرة همست «سيدهيكارى» اللعوب في أذنه قائلة: «لقد همت بك غراماً من أول نظرة يا حبيبي، وها قد اجتمع شملنا في أعلى شجرة. هاك المال الذي سرقته، وأنا نفسي ملك يمينك، فخذني!»، ثم ألقت بذراعيها حوله، وألصقت شفتيها بشفتيه، وفجأة أطبقت بأسنانها على لسانه، فراح الفتى يتلوى من شدة الألم ثم بصق دماً!

ورفع التاجر عينيه إلى أعلى، على صوت تأوهات خادمه فشاهد جسده يتلوى ذات اليمين وذات اليسار، فخيل إليه أن شيطاناً قد سكن جسده. فدب الذعر في نفسه، وأطلق ساقيه للريح يتبعه باقي الخدم، حتى إذا ما تأكدت تلميذتي أن الجو قد خلا لها، هبطت من الشجرة ثم عادت إلى منزلي حاملة غنيمتها! ».

* * *

وما كادت العجوز تفرغ من سرد قصتها، حتى دخلت التلميذة التي كان الحديث يدور عنها، فعرفتها العجوز بضيوفها. وبعد قليل سألتهم العجوز: «أخبروني من هي المرأة التي تبتغونها، وأنا كفيلة بأن أدبر لكم موعداً معها!»، فأجابوها قائلين: إنها «ديفاسميتا» وزوجة «جوهاسيتا». أحضريها إلى فراشنا وسنجزل لك العطاء!». فوعدتهم العجوز خيرًا ثم أعدت لهم أمكنة للرقاد في منزلها.

ومنذ اليوم التالي وبدأت في تنفيذ الخطة التي رسمتها لإيقاع الزوجة الوفية في حبائلها، فوثقت علاقتها بخدم منزلها، مغدقة عليهم الهدايا والحلوى .. ومن ثم لم تجد مشقة في اجتياز أبواب قصرها .. وسارت على أطراف أصابعها ميممة شطر جناح «ديفاسميتا» وأمام بابه شاهدت كلبة تربض إلى جواره وقد قيدت فيه بسلسلة حديدية. وكانت تلك الكلبة معروفة بالجبن والوداعة، فلم يسمع عنها أحد يوماً أنها نبحت عند اقتراب غريب من القصر. بيد أنها ما وقع بصرها على العجوز حتى راحت تنبح بصوت مرتفع، ثم هجمت عليها، وكادت تمزقها إربًا، لولا أن السلسلة حالت بينها وبين الوصول إليها!

وبلغ نباح الكلبة مسامع «ديفاسميتا»، فخرجت لتستطلع الأمر، حتى إذا لمحت العجوز، أرسلت إحدى وصيفاتها لتعرف من هي، ولم تلبث الوصيفة أن عادت ومعها الزائرة، فدعتها الزوجة إلى دخول مخدعها.. وهنالك قالت العجوز «لديفاسميتا»: «لقد كنت دائمًا متشوقة لزيارتك، لكن الظروف كانت دائماً تحول دون ذلك. واليوم شاهدتك في الحلم، فصممت على المجيء!.. لقد سمعت أن زوجك قد هجرك وسافر بعيداً، ومن ثم فإن قلبي ينفطر شفقة وأسى عليك. ذلك لأن الشاب والجمال يغدوان بلا ثمرة إذا حرما من ملذات الهوى والغرام! ».

وهكذا راحت تتملقها وتتزلف إليها حتى تمكنت من اكتساب ثقة هذه الزوجة الشريفة، فقضت معها –في ذلك اليوم –عدة ساعات

تثرثران معاً في شتى الشئون التي تهم النساء! وفي اليوم التالي، عادت ومعها قطعة من اللحم وقد نثرت فوقها مسحوقاً يهيج خياشيم الأنف ويستدر الدموع من العيون! وما بلغت الباب حتى ألقمت الكلبة قطعة اللحم. وعلى الفور، أخذت الكلبة تعطس بشدة وتتقاطر الدموع من عينيها بلا انقطاع. ثم دخلت العجوز مخدع «ديفاسميتا» وهي تبكي بحرقة. فلما استفسرت منها هذه من سبب بكائها أجابتها قائلة: «أواه يا ابنتي. أخرجي لتشاهدي كلبتك. إنها تبكي. لقد تعرفت في شخصي على إحدى صديقاتها في حياتها السابقة، فلم تستطع أن تكبح دموعها من الانهمار. أما أنا فقد كنت أعرف مأساتها، فلم ألبث أن انخرطت في البكاء بدوري!».

وأطلت «ديفاسميتا» من الباب وشاهدت الكلبة، فقالت لنفسها متسائلة: «أية معجزة هذه؟ حقًا إنها تبكي!». وقالت لها العجوز الشمطاء: «لقد كنا –أنا وهي –ضرتين، في حياتنا السابقة، فقد كنا متزوجتين من رجل برهمي، اضطرته مهام وظيفته كمبعوث خاص للملك لأن يكثر الترحال، وفي كل مرة كان يغيب فيها عنا، كنت ألتمس السلوى عن فراقه بالانطلاق على هواي، متنقلة من أحضان رجل إلى آخر!.. ذلك لأن أعظم واجب علينا –نحن النساء –أن نروي غرائزنا وأحاسيسنا! وقد كوفئت على قيامي بهذا الواجب على أكمل وجه بأن بعثت إلى الحياة –مرة أخرى –متمتعة بالمقدرة على تذكر كل أحداث حياتي السابقة!.. أما هي فقد أهملت في أداء هذا الواجب، وحافظت –

عن جهل –على عفتها، ومن ثم جاءت إلى الدنيا على هيئة كلبة، إلا أنها ظلت أيضًا محتفظة بقدرتها على تذكر وقائع الماضي!».

وعندئذ قالت «ديفاسميتا» لنفسها: «أي واجب مقدس هذا الذي تتحدث عنه المرأة؟ أغلب الظن أنها أتت وهي تضمر لي نية خبيثة، فلأكن منها على حذر!»، ثم التفتت إلى الزائرة وقالت لها: «أيتها الأم المبجلة! لقد عشت حياتي حتى الآن على شاكلتها –جاهلة بهذا الواجب المقدس. ومن ثم يجب أن تعرفيني برجل وسيم!».. فأجابتها الشمطاء قائلة: «إن أربعة شبان –أبناء تاجر من جزيرة «ارشيبيلاجو» – يقيمون الآن في منزلي. وليس لدي مانع من تقديمهم إليك!». ثم عادت إلى منزلها حاملة لأبناء التجار بشرى نجاح مسعاها!

أما ديفاسميتا» فقد نادت خادمتها ثم قالت لها: «إنني واثقة من أن أبناء التاجر هؤلاء قد شاهدوا الزهرة النضيرة في يد زوجي، فانتابهم الفضول لمعرفة سرها، ومن ثم أغروه بالإفراط في الشراب، حتى تمكنوا من انتزاع القصة منه والآن، قد جاء أولئك الأفاقون إلى بلدتنا بقصد إغوائي، فاستأجروا هذه المرأة الداعرة كوسيطة. هيا أحضري لي قارورة من الخمر الممزوجة بمخدر «الداتورة»، ثم إصنعي لي قالباً على شكل مخلب كلب!».. فنفذت الخادمة ذلك، ثم إرتدت ثوباً من ثياب سيدتها، حسب تعليماتها!.

وفي تلك الأثناء كان الشبان الأربعة يتنافسون فيمن يكون الأول في الفوز بالحسناء الفاتنة، فإختارت القوادة واحداً منهم بطريق القرعة، وصحبته إلى منزل «ديفاسميتا» حيث تركته أمام باب القصر. وإستقبلته الخادمة المتنكرة على هيئة سيدتها بما يليق به من إجلال وإكبار، ثم سقته كأس الشراب الممزوج «بالداتورة»، فلم يلبث أن سقط فاقد الوعي. وعلى الفور جدته الخادمة من ثيابه حتى غدا لا يرتدي سوى الهواء، ثم دمغت جبينه بخاتم مخلب الكلب!.

وفي النصف الأخير من الليل عاد الشاب إلى وعيه، فإذا هو ملقي على قارعة الطريق عارياً!.. وسار في طريقه بخطوات متعثرة، مبينما صوب منزل القوادة، وهو يتحسس جبينه الدموغ من لحظة لأخرى، وهناك أدعى أن كل شي قد تم على ما يرام، بيد أنه أفرط في الشراب، فإنتهز بعض اللصوص الفرصة، فسلبوه نقوده، وجردوه من ملابسه في الطريق عند عودته. أما الوشم الواضح على جبهته فلم يجد وسيلة لإخفائه أفضل من أحكام لف عمامته فوقه!.

وفي مساء اليوم التالي لاقي ثانى الشبان نفس المصير، وعاد بدوره عارياً وهو يردد نفس قصة زميله، وإدعى كذلك أن صداعاً قد أصابه ومن ثم أحكم لف عمامته. ولم تلبث الرحى أن دارت على باقيهم فلم يبق واحد منهم بشير وشم على جبينه!.

وإذ حسبت الحيزبون أن خطتها قد نجحت، إتجهت إلى منزل «ديفاسميتا» لتطالبها بأجرها عن الخدمة الجليلة التي أدتها لها، إذ قدمت لها هؤلاء الشبان الفاتنين!.. فإستقبلتها الزوجة العفيفة إستقبالاً حاراً، ثم قدمت لها كأساً من الخمر ممزوجة بالداتورة. فلما إستيقظت من غيبوبتها وجدت نفسها ملقاة في إحدى البرك وقد قطع أنفها وأذناها!.

ابيد أن هاجساً إنتاب «ديفاسميتا»، فقالت لنفسها: «أليس من الجائز أن يغتال أولئك الشبان زوجى، إنتقاما لما لحق بهم من خزي وعار؟»، فلم تجد بداً من الذهاب إلي أم زوجها وأنهت إليها القصة بحذافيرها. فقالت لها حماتها: «لقد تصرفت تصرفاً سليماً يا ابنتي.. بيد أن حياة ابني قد باتت معرضة للخطر!»، فأجابتها الزوجة المخلصة بقولها: «لا تخشي شيئاً يا أماه!.. فسأنقذه كما أنقذت «ساكتيسماتا» زوجها، بسرعة بديهتها!»، فسألتها الحماة: وكيف أنقذت «ساكتيماتا» زوجها ياابنتى؟.. أخبريني!».

وبدأت «ديفاسسميتا» تسرد قصتها قائلة:

«يقيم في بلدنا إله عظيم يدعي «مانيبهادرا»، وقد شيد له سكان المدينة معبداً فخماً، يترددون عليه فيه ليقدموا نذورهم وعطاياهم، طالبين منه أن يحقق لهم أمانيهم. وقد جرت العادة أن يساق أي رجل، يضبط في ساحة المعبد مع زوجة رجل آخر، إلى السجن. وفي ذات ليلة ضبط

تاجر اسمه «سامودرانا» متلبساً بإرتكاب جريمة الزنا مع زوجة رجل آخر في ساحة العبد، فإقتاد الحرس الرجل والمرأة إلى قدس أقداس المعبد حيث ألقوا بهما مصفدين بالأغلال: إنتظاراً لمحاكمتهما في صباح اليوم التالي.

وما ليت النبأ أن وصل إلى مسامع «ساكتيماتي» زوجة ا التاجر الوفية، فصممت على إنقاذه بأية وسيلة. وقد عمدت إلى التنكر ثم إتجهت إلى المعبد حيث قدمت للكاهن هدايا ثمينة، ففتح لها أبواب الزنزانة التي حبس فيها زوجها مع عشيقته. وهناك جطت عشيقة زوجها ترتدي ثوبها، وهكذا سمح لها الكاهن بالخروج حاسباً إياها الزائرة، بينما ظلت الزوجة مع زوجها. وفي الصباح، فوجيء الحراس الذين أتوا لإصطحاب التاجر للمحكمة، بأن المرأة التي معه ليست سوى زوجته الشرعية، فلما علم الملك بالقصة أمر بإطلاق سراح التاجر وزوجته، وهكذا خلصت المرأة زوجها من الموت التي كان يفتر فاه لإبتلاعه.

* * *

وأنهت «ديفاسميتا» قصتها قائلة: « كما إلتجأت «ساكتيماتي» إلى الحيلة لإنقاذ زوجها، كذلك سأفعل أنا»، ومن ثم تنكرت في زي الرجال، وأبحرت مع بعض وصيفاتها –وهن متنكرات مثلها– إلى جزيرة «سيام». فما أن بلغت سفينتهن الشاطيء حتى شاهدت «ديفاسميتا» زوجها متألقاً وسط لفيف من التجار. وأبصرها زوجها –بدوره– من بعيد،

فوقف فترة طويلة يلتهم بنظراته جمال زوجته الباهر، الذي بدا متألقاً بالرغم من زي الرجال الذي كانت ترتديه.

لكن «ديفاسميتا» كبحت الرشية التي إضطرمت داخل صدرها في أن تلقي بنفسها بين ذراعيه، وتظاهرت بعدم معرفته، ثم إتجهت إلى قصر ملك الجزيرة، طالبة منه أن يجمع كل سكان الجزيرة أمام القصر. فإستجاب الملك لرغبتها، والفضول يعتمل في جوانحه لمعرفة سر هذا الطلب الغريب. ثم قالت له «ديفاسميتا»: «في وسط هذا الجمع يوجد أربعة عبيد فروا من خدمتي. فأرجو من جلالتكم أن تسلبوهم إلي!»، فأجابها الملك: «إن كل الشعب مجتمع هاهنا أمامك. فإذا كان عبيدك من بينهم، لك أن تأخذهم». وعندئذ أشارت إلى الشبان الأربعة الذين كانوا لا يزالون يحملون الوصمة التي دمغت بها جباههم.

غير أن الملك إعترض قائلاً: لكن هؤلاء أبناء تاجر معروف، فكيف تدعي يا هذا أنهم عبيدك؟»، فأجابته قائلة: «إذا كنت لا تصدقني، إفحص جباهم، وستجد مخلب الكلب منقوشاً عليها بوضوح!».. فلم يجد أبناء التاجر مفراً من فك عمائمهمز وكادوا يموتون من فرط الخزى والخجل، حين شاهد الجميع الوشم على جباهم. فسأل الملك «ديفاسهمتا» قائلاً: «أي سر يكمن خلف هذا؟»، ولم تجد الزوجة الفاضلة مانعاً من سرد القصة كلها. وعندئذ قال الملك: «إنهم عبيدك حقاً!»، ثم أمر التاجر الكبير بأن يدفع الزوجة فدية باهظة مقابل إطلاق سراح أبنائه. فعادت «ديفاسميتا» مع زوجها -حاملة الفدية التي تقاضتها- إلى ميناء «تامر اليبتي»، حيث عاشا في أتم سعادة وهناء. ومنذ ذلك اليوم، لم يقترق العاشقان يوماً واحداً!!.

الفهرس